

31

روايات عالمجة الجيب

Looloo

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة

توزيع

www.dvd4arab.com

قصص هـ. ج. ويلز

ترجمة راجي

د. أحمد خديك قوليقي

جدة ليرة الماكستور مورو

المؤلف

هذا هو لقاءنا الثاني مع الكاتب الإنجليزي العظيم
(هيرت جورج ويلز) ..

في صبا هذا الكاتب قذف به أحد الأولاد الكبار في
الهواء .. ومن ثم سقط أرضاً وتهشمت ساقه . وكان
على الصغير أن يرقد في الفراش شهوراً يتلوى المأ ..
تبدو هذه كارثة .. لكنها بالنسبة لـ (هـ . جـ . ويلز)
كانت أسعد حوادث حياته ، لأنها أرغمته على ممارسة
التسلية الوحيدة للمقعدين قبل اختراع التلفزيون :
القراءة .

وكانت نشأة (ويلز) فقيرة للغاية ، بدأ حياته في
محل لبيع القماش - وهو ما استوحى منه تحفته
الروائية (كيبس) - ثم في صيدلية .. وفي النهاية
فر من هذا الجحيم وكتب خطاباً يستعطف فيه ناظر
مدرسته القديمة .. وقبل هذا الأخير أن يُعين (ويلز)
معلمًا عنده .

روايات عالمية الجيد

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمي ، في مختلف صنوفه ..
من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
واليك ..

د. نبيل فاروق

بعد هذا أصيب بثقب فى رنته بعد مباراة كرة قدم
عنيفة .. وكان لإصابته الأولى للفضل فى إرغامه على
(القراءة) .. لما إصابته الثانية فلرغمته على (للكتابة) ..

خمسة أعوام ظل يكتب فيها ، انتهت بأن حرق كل
ما كتب لرداءته ! ثم إنه تزوج وواصل محاولات
الكتابة فى حماس غير مسبوق ، إلى درجة إخراج
كتابين طويلين كل عام .. وبدأ يرضى عن أعماله
تدريجياً ، ويرضى القراء عنها ..

وفى كتاباته نجد تنوعاً غير عادى فى مجالات
اهتمامه .. فهو مولع بعلم الأحياء ، لهذا كتب (مرجع
فى الأحياء) عام 1893 .. وهو يعشق الخيال العلمى :
(العضوية المسروقة) عام 1895 .. و (آلة الزمن)
عام 1895 (جزيرة د. مورو) عام 1896 .. (للرجل
الخفى) عام 1897 .. (حرب العوالم) عام 1898 ..
(أول رجال على القمر) عام 1901 ، ثم كتب عن
المشكلات الاجتماعية (توقعات) عام 1901 .. (كيمس)
عام 1905 .. (يوتوبيا الجديدة) عام 1905 .. و (تونى
باتجى) و (أنا فيرونیکا) عام 1909

وفى عام 1903 انضم للحركة الفابية (الحركة
الاشتراكية التى تدعو للتغيير التدريجى ، والتى كان
برنارد شو عضواً فيها) ..

وفى عام 1911 بدأ خط جديد من خطوط إبداعاته
يتمثل فى قصصه : (ميكياقللى الجديد) - (الزوج) -
(أصدقاء عطفيون) - (الزوجة لسير إتراك هارمان) ..

وأيد (ويلز) الحرب العالمية الأولى على أساس
أنها (الحرب التى تنتهى الحروب جميعاً) . وقاد
حملة الدعاية ضد الألمان فى أثنائها ، لكن هذا لم
يمنعه - عام 1916 - من كتابة قصة شهيرة هى
(مستر برتلنج يتبين الأمر) ، يقر فيها بخطئه ..

بعد الحرب كتب (خلاصة التاريخ) عام 1920 ..
ثم (علم الحياة) عام 1929 .. ثم (العمل والثروة
وسعادة البشرية) عام 1932 .. كان يبشر بعالم واحد
متكامل يبعد شبح البربرية والعدمية ..

وفى عام 1934 كتب قصة حياته وسمّاها (تجربة
فى الحياة) .

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتفقد إيمانه
بالجنس البشرى الذى فقد التحكم فى ذاته ، ومشى
بخطى حثيثة نحو الهلاك ..

وتوفى العبقري عام 1946 بعد ما لثري الأديب
العالمى بقصص ومقالات لا تنسى .. ربما لم تكن
عميقة كلها .. لكنها بالتأكيد فاتنة الإمتاع .

★ ★ ★

قصة اليوم هى نموذج لأديب الخيال العلمى عند
(ويلز) ، وسوف نتبين سريعاً أن هذا الأديب يكتب
الخيال العلمى ، ليخبر عن آرائه الفلسفية وانطباعاته
الاجتماعية فى حرية .. إن (ويلز) منبهر بالعلم ،
لكنه يهابه .. يحترمه ، لكنه يرتاب فيه ..

وسوف نرى أنه متأثر بالمذاهب العلمية والفكرية
التي سادت (أوروبا) فى تلك الحقبة ، وله اهتمام
بنظرية (داروين) فى الارتقاء ، وأوضاع الطبقة
العاملة المطحونة فى عهد الثورة الصناعية بالجلترا ..

إن هناك فارقاً هاماً بين (جول فيرن) الفرنسى
و (هـ . ج . ويلز) الإنجليزى .. كلاهما كتب فى
الخيال العلمى وغدا حجة فيه ، لكن (جول فيرن) -

كما رأينا فى (رحلة إلى مركز الأرض) - كاتب
مسطح ، لا يقول شيئاً سوى المغامرة الطريفة التى
تحدث لأبطاله .. بينما (ويلز) يقول كل شيء ممكن
مما بين السطور وفى السطور ذاتها ، حتى لتعدو
روايته عملاً فلسفياً شديداً الصق ..

بالطبع - كما سنعرف من خلال الأحداث - كان
لابد لـ (جزيرة الدكتور مورو) أن تثير شهية صناع
السينما لعمل شيء ما منها ، وقد قدمت لنا السينما
الأمريكية ذات الرواية فى فيلمين :

- الأول هو (جزيرة الأرواح المفقودة) من إنتاج
عام 1932 ، وقام ببطولته (تشارلز لوتون) .. وهو
أفضل الفيلمين .

- الثانى هو (جزيرة الدكتور مورو) من إنتاج
عام 1977 ، وقام ببطولته (بيرت لانكستر) و (مايكل
يورك) ، وهو عمل غير متميز .

تعالوا نقرأ الرواية معاً ، ونتوقع الكثير من الإشارة ،
والكثير من التأمل ، ومسحة رعب لا بأس بها أبداً .

د / أحمد خالد

مقدمة

في الأول من فبراير عام 1887 ، فقدت السفينة (ليدي فين) إذ اصطدمت بحطام سفينة مهجورة وهي عند خط طول (1) جنوباً وخط عرض (107) غرباً .

وفي الخامس من يناير عام 1888 ، عُثر على عمى (إدوارد برندرك) - الذى سافر على ظهر (ليدي فين) فى (كالاو) واعتبر غريقاً - عثر عليه عند خط عرض (5) جنوباً وخط طول 101 غرباً ، فى قارب صغير ليست عليه كتابة معينة ؛ لكن يعتقد أنه يخص السفينة المفقودة (إبيكاكواتا) ..

ولقد حكى عمى قصة غريبة عما حدث له ، حتى أنهم حسبوه قد جنَّ .. وبعد هذا زعم أنه نسي كل شيء منذ لحظة نجاته من (ليدي فين) .

وناقش العلماء النفسيون حالته وقتها كنموذج غريب لفقد الذاكرة بعد معاناة عقلية وجسدية .

وقد وجد الموقع أدناه - ابن أخيه ووريثه - هذه القصة بين أوراقه ، لكنها غير مقرونة بأى طلب واضح للنشر .

إن الجزيرة الوحيدة الموجودة حيث تم انتشال عمى هي جزيرة (نوبل) وهي جزيرة بركانية صغيرة زارها (سكوربيون) عام 1891 ، فلم يجد بها سوى بعض حشرات غريبة ، وبعض الأرناب والفئران . لهذا تظل هذه القصة بلا دليل فى أهم أجزائها ..

فإذا وضعنا هذا فى الاعتبار ؛ لانجد ضرراً من نشر هذه القصة على الملأ .. وأعتقد أن هذا يتفق مع نوليا عمى . لقد غاب عمى تماماً فى البحر ثم ظهر فى المكان ذاته بعد أحد عشر شهراً ، وبطريقة ما ظل حياً طيلة هذه الفترة ..

يقال إن سفينة يقودها قبطان ثمل أفلعت من إفريقيا ، حاملة على متنها (بوما) (*) وحيوانات أخرى فى يناير 1887 ، وكان اسمها (إبيكاكواتا) .. وقد اختفت فى النهاية فى تاريخ يتفق تماماً مع تاريخ العثور على عمى .

تشارلز إدوارد برندرك
القصة كتبها إدوارد برندرك

(*) البوما : هي أحد الجبال الواقعة (جاجوار) .

١ - فى قارب نجاة (ليدى فين) ..

لا أزمع أن أضيف شيئاً إلى كل ما كُتب عن فقد (ليدى فين) .. فالجميع يعرف أنها اصطدمت بحطام سفينة مهجور بعد ما فارقت (كالاو) بعشرة أيام .. وقد تم انتشال قارب نجاتها وبه سبعة بحارة - بعد ثمانية عشر يوماً - بواسطة مدمرة صاحبة الجلالة (ميرتل) ، وقد صارت قصة معاناتهم معروفة للجميع ..

إلا أنني أنوى أن أضيف للقصة شيئاً جديداً ، ربما هو أكثر إفزاعاً وغبابة .. لقد افترض الجميع أن الرجال الأربعة فى قارب النجاة قد هلكوا .. لكنى أملك خير دليل على أن هذا غير صحيح : فقد كنت واحداً من هؤلاء الرجال ..

وفى المقام الأول يجب أن أقول إنه لم يوجد قط أربعة رجال فى قارب النجاة .. لقد كان العدد ثلاثة ، لو تجاهلنا (كونستاتس) الذى شوهد يثب للقارب ، لكنه لم يصله قط لحسن حفظنا وسوء حفظه .. لقد هوى

لأسفل تحت حبال الصارى ، فتعلق هذاؤه بحبل لدقيقة .. ثم سقط ورأسه للأسفل ليصطدم بلوح خشبى طاف ..

أقول : من حسن حفظنا .. ولربما قلت . من حسن حفظه كذلك .. لأنه لم يكن معنا سوى برميل ماء صغير وبعض البسكويت المبتل .. فقد كان الإنذار فجائياً ولم يكن القارب معداً لأية كارثة ..

وفى الصباح التالى حين زال صيب السماء - ولم يحدث هذا إلا ظهراً - لم تر السفينة ولا (اللنش) .. وكان من هربا معى فى قارب النجاة رجلين ، أحدهما يدعى (هلمار) وهو مسافر مثلى ، أما الآخر فبحار لا أعرف اسمه .. لكنه قصير القامة قوى البنية يتلعم فى الكلام ..

رحنا نمضى فى البحر جائعين ، وما لبث أن انتهى ماؤنا فعذبنا ظمأ قاتل لمدة ثمانية أيام كاملة .. ومن الصير على القارئ العادى أن يتخيل تلك الأيام ، فليس فى ذاكرته لحسن الحظ - أية ذكرى سابقة تتيح له تصور الوضع ..

كنا راقيدين فى القارب ، نرمى الأفق بعيون تزداد

اتساعاً وإرهاقاً كل يوم ، ونلاحظ الوهن الذى يزحف
على وجوهنا ..

صارت الشمس عديمة الرحمة ، وصرنا نفكر فى
أمور عجيبة لا نفصح عنها لكننا نقولها بأعيننا ..
ولم يحدث قبل اليوم السادس أن أعلن (هلمار) عن
الشيء الذى تفكر فيه جميعاً .

كانت أصواتنا خشنة جافة لذا قربنا الرعوس
لننخر كلماتنا ..

رفضت الاقتراح بكل قواى وآثرت أن نثقب القارب
لنفرق فى الحال أو تاكلنا أسماك القرش .. لكن
(هلمار) قال إننى لو قبلت لاستطعنا أن نشرب (*) ..

وفى المساء راح البحار يتهامس مع (هلمار) ،
بينما جلست أنا فى مقعد التجديف وفى يدي مطواتي ،
برغم أننى لم أكن أملك قوة كافية لاستخدامها .. وفى
الصباح وافقت على اقتراح (هلمار) وقررنا أن نلعب
القرعة بقطعة عملة ، وكان الاختيار من نصيب البحار ،
وما كان ليرضخ بسهولة وهاجم (هلمار) بيديه ..

(*) فى الغالب كان الاقتراح يتعلق بقتل الشخص الثالث
والتهامه ، وإن كان هذا الجزء غامضاً فى نص (ويلز) الأسمى ..

زحفت على خشب القارب ، وقررت أن أساعد
(هلمار) بأن أمسك بساقي البحار ، إلا أن الأخير تعثر
وهوى فوق جانب القارب ومعه (هلمار) .. وسرعان
ما غرقا كحجرين ..

أذكر أننى ضحكت على ذلك ، وتساءلت بعدها عن
سر ضحكى ..

رقدت على مقعد التجديف لفترة لا أذكر طولها ،
وقررت أن أشرب من ماء البحر لأجنّ وأموت سريعاً .

هنا رأيت - دون اهتمام كأنما أرى صورة - شراعاً
يرتفع من خط الأفق نحوى ..

لا بد أن عقلى كان شاردًا ، لكننى أذكر كل شيء
بوضوح تام .. أذكر كيف تأرجح رأسى .. وكيف
تراقص الأفق أمام عيني ..

كنت أدرك أننى ميت .. وخطر لى كم هو مضحك ..
إنهم تأخروا هذه الساعات القليلة حتى يجدو جثتى ..

ولفترة لا تنتهى رحلت أرقب السفينة المزودة
بالمجاديف ، والتي تدور حول نفسها دورة واسعة فى
عكس اتجاه الرياح ..

لا أذكر أى شيء بوضوح عما حدث بعد ذلك ..
ولا أعرف كيف ولا متى رقدت فى القمرة الصغيرة .

ثمة ذكرى مبهمه عن رفعى إلى جانب السفينة ..
ونكرى لوجه ملهىء بالتمش بحيط به شعر أحمر
ينظر لى من على .. وثمة لتطباع مستقل لوجه أسمر
ذى عينين مروعيتين تنظران لى .. لقد حسبت هذا
كابوسًا حتى لاقيت الوجه ثانية ..

أظن أنهم صبوا شيئًا ما بين أسناتى لأفقى ، وهذا
كل ما أذكره عن إنقاذى ..

٢ - الرجل الذى لم يذهب لمكان ..

كانت القمرة التى وجدت نفسى فيها صغيرة غير
منسقة ، وكان هناك شاب له شعر كالكتان وشارب
بلون القش ، وشفة سفلى ساقطة ، يجلس ويمسك
بمعصمى .. وللحظة تبادلنا النظرات الصامتة .. كانت
له عينان رماديتان خاليتان من التعبير ..

ومن المقدمة سمعت صوت هيكل حديدى يتم طريقه ،
وصوت زئير حيوان غاضب ، وفى نفس اللحظة تكلم
الرجل :

- « كيف تشعر الآن ؟ »

أظن أننى قلت إننى على ما يرام ، ولا بد أنه رأى
فى عيني السؤال عن الكيفية التى وصلت بها .. قال
لى :

- « لقد وجدناك تنضوّر جوعًا فى قارب عليه اسم
(ليدى فين) .. وكانت ثمة بقعة دم على أرضية
القارب .. »

نظرت ليدى .. كانت نحيلة كأنها كيس جلدى
متسخ ملىء بعظام مفككة ، وهنا تذكرت ما كان على
ظهر القارب ..

قدم لى جرعة من قارورة بها سائل أرجوانى ،
بدا لى مذاقه كالدم ، وسمعته يقول واللعب يستاقط من
فمه :

- « لقد كنت محظوظا إذ قابلت قاربًا عليه طبيب
مثلى .. »

- « ما هذه السفينة ؟ »

- « هي سفينة تجارية نقلنا من إفريقيا إلى
(كالاو) .. وقبطاننا أحرق يدعى (ديفيز) .. لقد فقد
رخصته أو شيء من هذا القبيل .. أنت تعرف هذا
الطراز من الرجال .. وهو يسمى هذه السفينة باسم
(إبيكاكوانا) من بين كل الأسماء السخيفة الجهنمية ..
وهي تؤدي عملها جيدًا ما دام هناك بحر كثير ورياح
قليلة .. »

من جديد عاد صوت الزنير ، مع صوت يامر
منبؤًا ما بأن (يكف عن هذا) ..



قدم لى جرعة من قارورة بها سائل أرجوانى ، بدا لى مذاقه
كالدم ..

قال محدثي :

- كنت ميتًا تقريبًا .. لكنني وضعت بعض الدواء
في جسدك ، ولستوف تجد علامات الحقن في
ذراعيك .

هذه المرة كنت أسمع نباح كلاب قدامًا من المقدمة ..
سألته شاردًا :

- « هل يُسمح لي بطعام صلب ؟ »

- « بفضلتي يمكنك ذلك .. إن اللحم ينضج الآن ..
هناك بعض الضأن .. ويمكنك التهامه .. »

نظر لي وصوت النباح يتعالى .. ثم غادر القمر
ليدخل في جدل طويل مع واحد لا يفهم ما يُقال ، وكان
الآخر يتكلم بلغة يستحيل تمييزها ، ثم سمعت صوت
ضربات أو لعل قلنت ذلك ..

حين عاد إلى القمر واصلنا الحديث .. حكيت له
أن اسمي (وليام بندرك) ، وكيف كنت مولعًا بدراسة
التاريخ الطبيعي التي تنسيني حياتي المرفهة الرتيبة ..
بدا لي مهتمًا بهذا ، وقال :

- « لقد أجريت أنا نفسي بعض تجارب علمية ،
ونلت شهادة من الجامعة في علوم الأحياء .. رباه !
كان هذا منذ عشرة أعوام ، ولكن استمر .. استمر .. »
كان راضيًا عن صراحتي كما هو واضح ، فما إن
فرغت حتى راح يسألني عن شارع (جاور)
و (توتنهام) وعن متاجر (لندن) .. فأدركت أنه كان
طالب طب عاديًا يرتاد قاعات الموسيقى بلا قيود ..

- « كان كل هذا لطيفًا ، لكنني كنت أحرق
واستهلكت شبابي قبل سن الحادية والعشرين .. إلا أن
الأمر اختلف الآن .. »

عاد صوت العواء يتردد فوق رأسي .. وبشكل
مرتفع ووحشية لثارت هلعى ..
هنا جاء اللحم الضأن تسبقه رائحته الشهية
المغرية ، حتى إنني نسيت كل شيء عن صوت
الوحش الذي أثار توجسى ..

★ ★ ★

بعد يوم من النوم المتبادل مع الطعام تحسنت
كثيرًا .. وفي النهاية استطعت أن أصعد لسطح السفينة
لأرى البحار الخضراء تحاول أن تلحق بنا ..

جاء (مونتجمري) - وهو ذلك الرجل ذو الشعر
الكثاني - فسأله بعض الثياب ، فأعارني بعض ثيابه
الخاصة ..

قال لي : إن القبطان ثمل في قمرته ، وبدأت أسأله
عن وجهة السفينة فقال : إنها متجهة إلى (هاواي) ،
لكن سينزلونه هو أولاً .. فسأله :

« تنزل أين ؟ »

- « جزيرة .. حيث أعيش .. وعلى قدر علمي لم
يكن لها اسم قط .. »

وسقطت شفتيه السفلى ، فبدأ لي غيبًا إلى حد
لا يوصف ، وأدركت أنه راغب في تجنب مزيد من
أسئلتي ..

وكنيت أملك الحكمة الكافية كي لا أوجه أسئلة
أخرى ..

★ ★ ★

٣ - الوجه الغريب ..

تركنا القمرة فوجدنا رجلًا يسد طريقنا .. كان يقف
على الحافة وظهره لنا .. كان - على قدر ما استطعت
رؤيته - قبيحًا جدًا .. قصير القامة عريض المنكبين
له رأس يغوص ما بين كتفيه وعنق مشعر ..

كان يرتدي كنزة زرقاء وله شعر أسود خشن
كث .. وسمعت الكلاب تتبحر بجنون بينما هو يتراجع
مذعورًا ، واستدار في سرعة حيوانية تحوى ..

صدمني الوجه الذي رأيته بشدة .. كان وجهها
مشوهًا له بروز يشبه خطم البهيمة .. أما الفم
المفتوح فيظهر أسنانًا بيضاء لم أرها في فم آدمي
قط .. وكانت عيناه بلون الدم مع قليل جدًا من اللون
الأبيض حول القرنيتين اللوزيتين ..

قال (مونتجمري) :

- « تبًا لك ! لم لا تبعد عن طريقنا ؟ »

ابتعد الرجل دون كلمة .. تراجع في خوف ، وقال :

- « لن يسمحوا لي بالذهاب للمقدمة .. »

تكلم بصوت خشن خافت غريب ..

- « ولنا أمرك بأن تذهب .. »

كنت مذهولاً للغاية لشدة قبح هذا المخلوق ، فلم أر قط وجهاً متفرداً منفرداً كهذا ، وفي اللحظة ذاتها شعرت بأنني قابلته من قبل ، وفيما بعد خطر لي أنه الوجه الذي رأيته في أثناء انتشالي لظهور السفينة .. ربما .. لكن كيف يمكن للمرء أن يرى هذه الملامح الفريدة ، ثم ينسى المناسبة التي رآها فيها ؟

نظرت إلى جانب السفينة ، وكنت مستعداً تقريبا لما سأراه بسبب ما سمعت من أصوات من قبل .. أنا لم أر قط سطح سفينة بهذا الاتساع .. كان مغطى بالجزر والخضراوات .. وإلى جوانب السفينة كان عدد من الكلاب العملاقة المربوطة بالحبال لا تكف عن التباح .. وعند الشراع كانت هناك (بوما) ضخمة محبوسة في قفص حديدى أصغر من أن يسمح لها بالاستدارة .. وفي المقدمة كانت مجموعة من الأرانب ..

و (لاما) حبوسة في قفص غريب يشبه الصندوق .. والبشرى الوحيد في المكان هو بحار صموت يمسك بالدفة .

كانت السماء صافية ، والشمس في منتصف المسافة نحو الأفق الغربى ، والماء يغلى تحت سطح السفينة المسرعة ..

سألت (مونتجرى) :

- « هل هذه سفينة شحن حيوانات ؟ »

- « يبدو كذلك .. »

- « وما الغرض منها ؟ أهى للتجارة أم لهواة

الغرائب ؟ »

- « يبدو كذلك .. »

فجأة سمعنا صرخة قصيرة وألفاظ سباب ، ثم ظهر الرجل المشوه يركض ووراءه رجل أحمر الشعر يضع (كاسكيت) .. بيضاء .. فما إن رأت الكلاب الأول حتى تزايد صراخها وازداد شذها لسلاسلها ..

وسرعان ما وجه أحمر الشعر لكمة قوية ما بين

لوحى كتفى الشيطان البائس . فهو يندحرج فى
القذورات بين الكلاب الغاضبة .. ومن حسن حظه
أنها كانت مكممة ..

لم يحاول أحد أن يساعده .. فقط راح يعوى
بصوت لم أسمع مثله قط وهو يتخبط بين أقدام
الكلاب ، وقد راحت الأخيرة تبذل قصارى جهدها كي
تؤذيه .. رقصة أجساد رمادية فوق جسد مهنك ..

تصايح البحارة مهللين كلثما يرون رياضة ممتعة ..
فأطلق (مونتجمرى) صيحة تعجب غاضبة واندفع
للأمام عبر السطح ..

ضحك الرجل ذو الشعر الأحمر ضحكة رضا .. هنا
جذبه (مونتجمرى) من ذراعه وقال وقد ازدادت
ثقلته وضوحاً :

- « انظر يا قبطان ! إن هذا لا يصح »

التفت القبطان أحمر الشعر نحوه ، ورمقه بالعينين
الغبيتين لرجل ثمل .. وناعسًا قال :

- « ما الذى لا يصح أيها (الحكيم) الأحمق ؟ »

ويحركة مفاجئة حرر ذراعه من يد الطبيب ..
وبعد محاولتين فاشلتين استطاع أن يدخل يديه
المليئتين بالنمش فى جيبيه ..

قال (مونتجمرى) :

- « هذا الرجل راكب عادى .. وأنصحك بالابتعاد
عنه .. »

صاح القبطان بصوت عالٍ ، وهو يتجه مترنخًا إلى
الجانب :

- « اذهب إلى الجحيم !.. أنا أفعل ما أريد على
سفينتى .. »

هنا كان على (مونتجمرى) أن يتركه وشأنه
- وقد رأى كم هو ثمل - لكنه مشى وراءه وقد شحبت
وجهه ، وصاح :

- « هذا الرجل يخصنى .. وليس من حقك معاملته
هذه المعاملة » .

تصاعدت أبخرة الكحول إلى رأس القبطان ، فعجز
عن الكلام .. كل ما قاله هو :

- « (حكيم) أحمق .. ! »

كان (مونتجمري) واحداً من أصحاب الأمزجة
العديدة البطيئة ، التي تنضج يوماً بعد يوم حتى تتحول
إلى نار حارقة ، وبعدها لا تبرد أبداً لدرجة التسامح ..
وعرفت أن هذه المشاجرة تنمو منذ فترة ..

قلت لـ (مونتجمري) .

« دعه .. فهو ثمل » .

« هو ثمل دائماً .. لكن هذا لا يسمح له بالاعتداء
على المسافرين » .

لوح القبطان بيده صائحاً :

« هذه سفينتي .. كانت سفينة نظيفة .. انظر إليها
الآن .. والطاقم طاقم نظيف محترم .. والآن .. أتمنى
لو لم أر قط جزيرتك الجهنمية هذه . لماذا تنقلون
الوحوش إليها ؟ ثم هذا للرجل الذي نقلته معك
- اعتقد أنه كان رجلاً - هو مجنون .. هل تعتقد أن
كل السفينة ملكك ؟ »

« بحارتك يضايقون الشيطان البائس منذ ركب
السفينة .. »

« هذا هو بالضبط .. شيطان .. شيطان قبيح
لا يحتمله رجالى ولا أنا ولا أنت .. ولو جاء إلى هذا

للجزء من السفينة ثالية فلسوف أخرج أحشائه .. أؤكد
لك هذا .. أنا مالك هذه السفينة وقد تعاقبت على أن أنقل
بعض الحيوانات من إفريقيا إلى تلك الجزيرة ، لكنى لم
أعتقد على نقل شيطان مجنون و (حكيم) أحمق .. »
وهنا بدأ القبطان فى استعمال ألفاظ أكثر سوءاً من
كل ما سبق .. فصحت به فى حدة :

« لصمت ! »

وبهذا جنبى اللوبال على نفسى .. إلا أنني كنت
سعيداً ؛ لأننى منعت ما يوشك أن يكون مذبحاً ..
وحتى مع وضع مزاج القبطان المتعكر فى الاعتبار ،
فإننى لم أسمع قط هذا السيل من البذاءات يخرج من
فم إنسان ، وحتى مع طبعى المسالم ، بدت لى بعض
هذه الألفاظ عسيرة لتحمل ..

لقد نسيت أننى لم أكن سوى نفاية بشرية على
ظهر هذه السفينة ، ولم أرفع أجر سفرى بعد ، وأننى
أعتمد بالكامل على الإحسان ..

لقد ذكرنى القبطان بهذا بخشونة حقيقية ..
إلا أننى - فى جميع الأحوال - قد منعت مشاجرة
عنيفة ..

* * *

٤ - عند حاجر السفينة ..

في تلك الليلة استطعت أن نرى الأرض عند الغروب .
وقال لي (مونتجمري) :

إن هذه هي وجهته ..

من مسافة كهذه لم أتسبب التفاصيل ، لكنها بدت لي
كبقعة من لون أزرق باهت وسط البحر الأزرق
الرمادي .. ومنها تصاعد لسان بخار إلى السماء ..

تناولنا عشاء كنييا أنا و (مونتجمري) ، ولاحظت
أنه متحفظ جداً بصدد الغرض من رحلته ، لذا أثرت
الصمت برغم فضولي الشديد ..

ازدادت النجوم كثافة في السماء ، وساد السكون .

راح (مونتجمري) يسألني عن (لندن) في
صوت ملىء بالشجن .. بدا لي كرجل أحب حياته
هناك ثم انقطع عنها فجأة . هذا الرجل جاء من الفراغ
لينقذ حياتي ، وغدا يختفي من وجودي للأبد من جديد ..

سألته نفس سؤال القبطان : ماذا يريد عمله
بالوحوش التي يصحبها معه ؟ لكنه ازداد غموضاً ..

وعند منتصف الليل رحنا نرمق البحر الصامت
الذي أضاءته النجوم ، وكل منا يفتش فيه عن
ذكرياته .. قلت له :

« أشكرك على إنقاذ حياتي .. »

« هي صدفة . مجرد صدفة .. كنت تملك الحاجة
وكنيت أنا أملك المعرفة .. وكنيت ملولاً أبحث عن
شيء أفعله ، فلو لم أكن في مزاج رائق أو لم أحب
منظرك فأين عمالك كنت تصير ؟ »

عكرت هذه الإجابة مزاجي .. فأردف قائلاً :

« صدفة .. ككل شيء في حياة الإنسان .. فقط
الحمير لا تفهم هذا ! أنا هنا الآن مجرد طريد للحضارة
بدلاً من أن أكون رجلاً سعيداً يلهو في (لندن) ..
لماذا ؟ لأنني - ببساطة - منذ أحد عشر عاماً فقدت
عقلي لمدة عشر دقائق في ليلة ضبابية . »

وكف عن الكلام دون أن يفسر شيئاً .

سألته للمزيد فأوشك على الكلام .. ثم قرر أن
يصمت ثانية .. هنا قلت له :

« حسبك ! .. الأمر سيان عندي .. ولو أنني
حفظت سرك فلن تجنى مني شيئاً سوى بعض راحة
البال ، أما لو أذعته فعدلنا .. »

وهنا أدركت أنني سيطرت عليه .. وضعته في
حالة من الطيش والرغبة في الثرثرة .. والحق أنني
لم أكن فضولياً جداً لمعرفة سبب طرد طالب طب شاب
من (لندن) .. إن لدى خيالاً على كل حال ..

ابتعدت عنه وبنوت من حاجز السفينة ، لأجد
خيالاً يقف هناك ويرمق البحر .. كان هذا هو مرافق
(مولتجرى) غريب الأطوار ..

شعر بوجودي فالتفت نحوي لحظة ، ثم عاد يرمق
البحر .. ربما بدا لك هذا تأفهاً ، لكنه كان كضربة قوية
لي .. فحين استدار وجه المخلوق نحوي خارجاً من
الظلام ، كانت عيناه تلتصعان بضوء أخضر خفيف ..

اخترقت عيناه كل أفكارى البالغة لتصلإ إلى
مخاوف الطفولة المنسية ، ثم مر الأثر سريعاً ..

وفي تلك الليلة رأيت أحلاماً غير سارة ، وارتفع
القمر عند منتصف الليل ، ليلقى بضوء شبحى أبيض
عبر قمرتى ، ورسم ظلاً مربعاً على فراشي ..
لهذا نمت بصعوبة حتى الفجر ..

★ ★ ★

٥ - الرجل الذي لم يكن له هدف ..

فى الصباح المبكر - وهو الصباح الثانى بعد شفتائى والرابع بعد إنقاذى - صحوت من أحلامى الصاخبة .. وبدأت أسمع صراخا خشنا فوق رأسى .. جاء صوت قدمين عاريتين ، وصوت أجساد ثقيلة تُجرّ ، وصريير ورنين سلاسل .. وعبر النافذة المستديرة رأيت أمواجاً خضراء تتلاطم صعدت للسطح لأجد السماء المحمرة المميزة للشروق ، ورأيت ظهر القبطان العريض .. و (البوما) تتلوى وتزأر فى قفصها ..

صاح القبطان :

- « إلى القارب معهم ! سينظف مركبنا بعد قليل إذ نتخلص من هؤلاء » .

كان يسدّ طريقى فربت على كتفه ليفسح لى .. فاستدار نحوى .. لم يكن الأمر يحتاج إلى خبير ، كى يعرف أن الرجل ما زال ثملاً ..

قال إذ رأتى :

- « ماذا ؟ إله السيد .. »

- « (بندرك) .. »

- « سحقاً ! (بندرك) ! (اصمت) .. هذا اسمك ..

السيد (اصمت) .. » .

لم تكن الإجابة مفيدة فى ظروف كهذه ، لكنى فوجئت به يمدّ يده إلى حيث كان (مونجمرى) واقفاً يتحدث مع رجل ذى شعر رمادى ، ويرتدى (قاتلة) من الأزرق المنسوخ ، ويبدو أنه قادم من الجزيرة .

قال الكابتن بزلير :

- « من هنا يا سيد (اصمت) ' هذا الطريق .. إلى خارج السفينة يا سيد (اصمت) ، وبسرعة ، فنحن ننتظف السفينة من القاذورات ! »

ونظرت إليه مذهولاً ..

ربما كان هذا ما أريده .. ليست الرحلة مع هذا الوغد المشاغب من الأشياء التى يبكى المرء عليها ..

قال مرافق (مونجمرى) فى اقتضاب :

- « لا يمكن أن تصطحبك معنا .. »

كان له وجه مربع حازم .. أكثر الوجوه التى رأيتها فى حياتى حزمًا ..

صاح القبطان :

« إلى خارج السفينة تذهب ياسيد (أصمت) !
هذه السفينة ليست للوحوش وأكلة لحوم البشر ومن
هم أسوأ منهم ! وإن لم يصحبوك فباتنى سأرغمك على
النزول على كل حال .. لقد انتهيت أخيراً من هذه
الجزيرة والحمد لله .. »

أشار (مونتجرى) إلى الرجل رمادى الشعر
بجواره ، بما معناه أنه عاجز عن مساعدتى .. رحبت
أتوسل لكل واحد من الثلاثة : توسلت لرمادى الشعر
كى يأخذنى معهم ، وللقبطان كى يبقينى على ظهر
السفينة ، ولـ (مونتجرى) كى يفتح أحدهما ..

لكن القبطان كان مصرّاً على طردى خارج سفينته ..
وهنا يجب أن أقول إن صوتى تحسّرج ، وأصابتنى
حالة من الهستيريا .. وفى الوقت ذاته كان البحارة
ينقلون الحملة إلى (لنش) كبير يقف جوار السفينة ،
تنقل إليه البضائع فى عجلة ..

كنت جائعاً مرهقاً ، والجوع وفقّر الدم ينزعان من
الرجل كل رجولته .. لم تكن لدى القوة ولا العزيمة كى
أقاوم ما يريد القبطان عن طردى ، والأدهى أنه بدا
أن أحداً لا يلاحظ وجودى أصلاً ..

جذبونى - وأنا لأقاوم بوهن - إلى قارب نجاة فى
مؤخرة السفينة ، وكان نصفه ملىء بالماء خالياً من
أية مؤن ..

أزلقوه إلى الماء ، وطوحوا بى إليه بحبل ثم
قطعوه وكذا وجدت نفسى وحدى بينما السفينة تبتعد
عنى .

فى البداية استطعت بمشقة أن أصدق ما حدث .
مذهولاً رحمت أرمق البحر الزيتى الصامت ، وأدركت
أننى عدت لجحيمى الخاص ، شبه غريق .

كان (اللنش) بدوره يعتمد نحو الجزيرة ..
وأدركت مدى قسوة ما فعنوه بى فلم تكن لدى
وسيلة للتخفيف إلى الشاطئ ، وكنت واهناً جائعاً ..
لهذا بدأت أبكى وأئن كما لم أفعل من قبل منذ كنت
طفلاً ..

مددت يدى فى الماء ورحت أحاول التخفيف ، وأنا
أدعو الله بصوت عال أن يميتنى الآن ..

★ ★ ★

٦ - البحارة مخيفو الشكل ..

إلا أن بحارة الجزيرة أدركوا أنني موشك على
الغرق وأشفقوا على .. هنا رأيت (اللنش) - في
راحة مجنونة - يستدير عاندا لي .. واستطعت أن
أرى فوقه رأس (مونتجمري) ومرافقه ، وقد
أحاطت بهما الكلاب والصناديق ..

أما المخلوق المشوه إياه فكان ينظر لي باهتمام ،
وجواره كن ثلاثة رجال آخرين لهم نظرات وحشية ،
بدا لي أنهم يثيرون هياج الكلاب .. وألقوا لي بحبل
ربطته في القارب كي يجذبوني وراءهم ، فلم يكن لي
مكان على ظهر (اللنش) المزدهم .

تصلب الحبل بين القاربين ، وصار (اللنش) يجرتني
وراءه ..

هنا رحت أرمق راكبي (اللنش) في ثبات أكثر ..
كأن رمادي الشعر رجلاً قوياً له ملامح قوية ، لكن
عينيه كانتا تحملان ذلك الجلد المتدلى فوق الجفون ،



فهم نكن لدى وسيلة للتحدث إلى لشاطر ، وكنت واهماً

جانحاً ..

بالإضافة إلى أن ركنى فمه كتنا سافطين لأسفل مما
أعطاه لطباعاً من العدوانية ..

رحت أنظر لرجالہ الثلاثة . وبالفرايتهم من
طاقم ! لا أدري ما الذى أثار فى نفسى ذلك الشعور
من الاشتزاز نحوهم .. كانت أطرافهم منقوفة بجند
متسخ أبيض . وكانت على رؤوسهم عمامات وتحتها
كانت وجوه شبيهة بوجوه الجن ترمقنى . ولهم شعور
طويلة سوداء كمعارف الخيول .. كما أن قامتهم كانت
طويلة جداً ..

بالواقع كانت مجموعة شاذة منفردة من الناس ..
ولاحظت أنهم لا يتحملون نظراتى المباشرة لهم إذ
سرعان ما يخفضون العيون .

ووصلنا إلى المصلح ..

كان الشاطن مغطى برمال رمادية . يتحدر فى
زاوية حادة لأسفل . بينما هناك سلسلة تلال فوق
مستوى البحر . تحف بها أشجار ونباتات .. وكانت
هناك أحجار تكونت جزئياً من الفحم ومن الحمم
الزجاجية ..

أعتقد أننى رأيت كذلك - إذ دنونا - بعض مخلوقات
غريبة ترمقنا من وراء الأشجار .. لكنى لم أرها حين
دنونا أكثر ..

بأمر من (مونتجرى) وثب أربعة رجال إلى
(النش) ليبتولوا أمر الشراع بحركات خرقاء ، وبدأنا
ندخل خليجاً صغيراً يتسع بصعوبة لنا . وسمعت
صوت المجاذيف ترتطم بالرمال ..

ثم وثب الرجال إلى الشاطن . بينما بقى واحد
منهم لينزل الحمولة .. لاحظت - بصفة خاصة -
الحركات الغريبة لهؤلاء الرجال المضمدين . فلم تكن
ذات نمط معين . كانت مشوهة كأنما مفاصلهم فى
الأمكن الخاطئة ..

كانت صوضاء الكلاب عالية جداً . بينما
(مونتجرى) يثبت الدفة وينزل إلى الشاطن .. ودنا
نو الشعر الأبيض منى ليقول :

« يبدو لى أنك تتضور جوعاً .. »

كانت عيناه السوداوان تتلتمعان تحت حاجبيه ،
وأرشف :

- « يجب أن أعذر لك .. بما أنك ضيفنا فعلينا أن نجعلك مستريحاً .. يبدو أنك رجل متعلم يا مستر (بندرك) .. إن (مونتجرى) يقول إن لديك خلفية علمية ما .. »

أخبرته أنني أجريت بعض دراسات علمية في (البيولوجي) تحت إشراف (هكسلي) . رفع حاحبيه قليلاً مندهشاً لهذا ، وبدأ بعض احترام طفيف في أسلوبه معي .. وقال :

- « هذا يغير الأمور يا مستر (بندرك) . كما ترى نحن جميعاً ندرس (البيولوجي) ، ولدينا ما يشبه محطة الأبحاث هنا .. »

كان الرجال يقتادون (البوما) إلى ما يشبه المنزل ذا الأسوار الحجرية ، بينما (مونتجرى) يضع كومة من الأقفاص الصغيرة على عربة ذات عجلات . وداخل الأقفاص كانت أرانب صغيرة ..

قلت له :

- « هأنذا تتقنني ثلثية .. »

قال لي :

- « هذا يتوقف عليك .. لمصوف تجد هذه الجزيرة مكاناً شاقاً كالجحيم ، ولو كنت مكانك لراقبت سلوكي جيداً .. »

وتردد قليلاً .. ثم تراجع عم ينوي قوله ، وأضاف :

- « أتعنى أن تساعدني مع الأرانب . »

وكان أسلوبه فريذاً مع تلك الأرانب .. رأيته يحمل الأقفاص ثم يفتح أبوابها ويقلب كلا منها ليخرج محتوياته على الأرض . لتتكوم الأحساد الحية ، وتركض متواثمة .. حوالي عشرين منها تبعد ..

- « تكاثروا يا أصدقائي ! عمروا الجزيرة لأن لدينا مشكلة لحم حقيقية هنا .. »

هنا عاد ذو الشعر الرمادي بزعجته شراب وبعض البسكويت ، وقال :

- « شيء تتبلغ به يا (بندرك) .. »

وعلى الفور انقضضت على البسكويت . لكنني لم أمس الشراب ، لأنني لم أذق المسكرات منذ مولدي ..

★ ★ ★

٧ - الباب المغلق ..

اصطحبوني إلى المنزل ذي السياج . ولاحظت أن
كومة المتاع قد تم وضعها هناك مع قفص (البوما) ..
قال ذو الشعر الرمادي لـ (مونتجمري) :
« الآن تجيء مشكلة هذا الضيف غير المدعو ..
ماذا سنفعل معه ؟ »

« إنه لديه خبرة علمية .. »
« أنا أتحرق شوقاً للبدء في هذا الموضوع
الجديد .. »

وازدادت عيناه التماعاً .. قال (مونتجمري) :
« لا يمكن أن نرسل الضيف هناك . ولا يمكن
أن نبني له كوخاً .. كما أننا لا نستطيع أن نشق به
بعد .. »

قلت بدوري :

« أنا تحت تصرفكم .. »

ولم تكن لدى أية فكرة عما يعنيه بكلمة (هناك) ..
قال (مونتجمري) :

« كنت أفكر في حجرتي ذات الباب الخارجي .. »
وهبطنا إلى المنزل . بينما قال (مونتجمري) :
« يوسفنى يامستر (بندرك) أننى غامض
معك .. فإن مؤسستنا هنا تحوى سرّاً من نوع ما ..
شيء كحجرة ذي اللحية الزرقاء .. بالواقع لشيء
يشير فزع الرجل العاقل ، لكن بما أننا لا نعرفك
جيداً .. »

قلت على الفور :
« طبعاً .. ولاكونن أحمق لو ضايقتى أنكم
لا تشقون بي .. »

ابتسم في سخرية مريرة ، وانحنى معبراً عن
تقديره لتفهمني ..

كان الباب الخشبي ثقيلاً موصداً بالحديد ، وجواره
باب صغير أولج فيه ذو الشعر الرمادي مفتاحاً ..

أخيراً وجدت نفسي في شقة صغيرة مريحة ، لكنها
بسيطة الأثاث . وسرعان ما أغلق (مونتجمري) الباب ..

وفى طرف الغرفة كان سرير معلق ، ونافذة عليها
قضيب حديدى يطل على البحر .. وباب يقود إلى
ساحة خارجية ..

وقال لى ذو الشعر الرمادى إنهم سيفلقون الباب
الصغير على من الخارج (خشية الحوادث) .

وأشار إلى كتب قديمة ، منها ما هو عن الجراحة ،
ومنها ما هو طبقات لاتينية وإغريقية ، وهى لغات لم
أستطع قط أن أقرأها مستريحا .. وكانت الكتب
متراسة على رف فى ركن الغرفة ..

قال لى (مونتجرى) وهو يغادر الغرفة مع الآخر :
- « نحن نتناول طعامنا فى هذا المكان .. »

ثم خرج ، وسمعه ينادى :

- « (مورو) ! »

متى سمعت اسم (مورو) هذا من قبل ؟ ورحلت
أرملق البحر من وراء النافذة وأنا ألتهم ما بقى معى
من (بسكوييت) .. (مورو) !

عبر النافذة رأيت واحدا من هؤلاء الرجال الغريبين

يجر حقيقته فوق رمال الشاطئ ، ثم سمعت المفتاح
يدور فى الباب خلفى . وسمعت الكلاب وراء الباب ..
لم تكن تتبع لكنها تخور بطريقة غريبة ..

ما هذا المكان ؟ ما سر هذين الرجلين ؟ من هو
(مورو) هذا ؟ »

لم أستطع فى هذه اللحظة بالذات أن أسترجم
الارتباط الصحيح لهذا الاسم .. يا لغرابة الذاكرة
البشرية !

جاء لى صديق (مونتجرى) غريب الشكل فى
هذه اللحظة .. كان يرتدى الأبيض ويحمل صحيفة
عليها بعض الخضر المسلوقة .. ووضعها أمامى على
المنضدة ..

هنا شلتنى الدهشة .. فتحت خصلات شعره
المسوداء الملتفة ، رأيت أنه إذ دنت من وجهى ..
كانت ألتهم مدببة مغطاة بفراء بنى اللون ..

- « إفتارك يا سيدى »

فاتها واستدار نحو الباب ، بينما أنا لا أبعد عيني
عنه ..

هنا - وبحيلة غريبة من اللاوعى . تداعت إلى ذهني الجملة (أحوال مورو) .. هل كانت هكذا ؟ وعاد عقلي إلى الوراء عشر سنوات فتحررت الجملة الصحيحة : (أهوال مورو) ..

الآن أراها مكتوبة بحروف حمراء في جريدة ..

لقد كنت شاباً وقتها ، وكان (مورو) في الخمسين من عمره ، عالم وظائف أعضاء شهيراً بارزاً في الدوائر العلمية . بسبب خياله الخارق .. لقد نشر أبحاثاً غريبة في البكتريا والطفيليات ونقل الدم ، ثم فجأة أغلق عيادته وفارق (إنجلترا) ..

والسر هنا هو أن صحفياً تنكر بشكل باحث ، وعمل لفترة في معمله بحثاً عن حقائق مثيرة . وسرعان ما حدث حادث مروّع .. لقد هرب كلب ممزق الأوصال من منزل (مورو) ، وكتب صحفي كبير مقالاً عن ذلك ، وناشد فيه ضمير الأمة .. لم تكن تلك أول مرة يصطدم فيها الضمير بوسائل البحث العلمي . لكن (مورو) طرد من البلاد ببساطة تامة ..

ربما كان يستحق ذلك .. لكن مازلت أعتقد أن

فتور زملائه الباحثين نحوه ، وتخلي العلماء عنه ، كلنا أمرين مشينين ..

لقد كانت بعض تجاربه على الحيوانات - كما قال الصحفي - قاسية جداً .. وكان (مورو) غير متزوج لا يهتم بشيء سوى العلم ..

هنا شعرت بأن (مورو) الجزيرة هو نفس الرجل .. كل شيء يشير إلى هذا .. وأدركت النهاية التي تنتظر كل الحيوانات التي جلبوها إلى هذه الجزيرة .. وشعنت راحة المظهر الذي يستخدمونه في التشرريح ..

خلف الجدار كانت (البوما) تزار في وحشية .. لم يكن هناك شيء في تشرريح الحيوان يهرز كل هذه المربية ..

ما معنى هذا ؟ جزيرة مهجورة .. عالم شهير .. رجال مشوهون معوقون ؟

رحلت أرمق البحر الأخضر والأفكار تصطرع في ذهني ..

★ ★ ★

٨ - صراخ الـ (بوما) ..

قطع (مونتجمري) شكوى في الساعة الواحدة ..
كان تابعه خلفه يحمل صحيفة عليها خبز وخضر
وأكواب ومدى .

نظرت إلى المخلوق شذراً فوجنته يختلس للنظر إلى ..
قال (مونتجمري) إنه سيتناول الفداء معي . لكن
(مورو) مشغول الآن ..
قلت له :

« (مورو) ! أنا أعرف هذا الاسم ! »

- « بحق السماء أنت تعرفه ؟ لقد كنت غيباً حين
ذكرته لك . ما كنت لأسى أنه سيوحى لك بسرنا ..
لكن لا جدوى من إغلاق الاسطبل بعدما سرق
الحصان .. »

سألته بعدما اتصرف للتابع :

- « (مونتجمري) .. لماذا أرى أننى رجلك
مديبتين ؟ »

- « يا للجحيم ! أننان مديبتان ! »

- « هما كذلك .. ومغطتان بشعر دقيق أسود ..
وعيناه تلتمعان في الظلام »

جرع بعض الماء في عصبية ، وبدأت لثفته تظهر
أكثر ، وقال :

- « آه ! لهذا يغطي أنثيه دائماً ؟ »

بدأ لى أن جهله تصنع ، لكنى لم أصارحه باعتقادي
في كذبه ..

هنا جاءت صرخة حيوانية قصيرة من الساحة
خلقنا ، وبدأ واضحاً أنها صرخة (البوما) .. وقطب
(مونتجمري) وجهه وتشاغل بالاكل ..
قلت له :

- « إنه غير طبيعي .. ثمة شيء ما بخصوصه ،
وهو يعطينى شعوراً رهيباً وعضلاتى تتوتر بشدة حين
يبنو منى .. »

قال (مونتجمري) وهو يمضغ في عصبية :

- « لا أدري .. لا فكرة لى عن هذا . لا بد أن
بحارة السفينة شعروا بنفس الشيء .. »
هنا صرخت (البوما) صرخة أشد هولا ..

سألته :

- « رجائك على الشاطئ .. من أى جنس هم ؟ »

قال فى شرود وهو يقطب حاجبيه :

- « رجال ممتازون .. ألا ترى هذا ؟ »

وجرع من الشراب ، ثم راح يحاول - فى توتر - أن يقودنى إلى محادثة جانبية . وانتهت وجبتنا ، فجاء المسخ المشوه مدبب الأذنين ليرفع بقايا الطعام ..
وانصرف (مونجمرى) وهو لا يخفى توتره بسبب صراخ (البوما) إياه ..

ووجدت أن الصرخات تزداد عمقا .. بدأت بالآثم ثم بالمعاناة العظمية ، وسرى التوتر إلى داخلى فرميت بكتاب (هوراس) الذى كنت أطلعه ، ورحت أذرع الغرفة متوترا حتى اضطررت إلى سد أننى بأصابعى ..
حقا لم أعد أحتمل البقاء ثانية فى هذه الغرفة ..
غادرت المكان إلى الخارج حيث العصر الناعم ..
كان الصراخ أشد ارتفاعا ، كان كل الأنم فى الكون وجد له صوتا ..

★ ★ ★

٩ - الشيء فى الغابة ..

مشيت تحت الأشجار التى تغطى ما وراء المنزل ، لا أدرى لأين أذهب ، ومررت بين بعض النخيل مستقيم الجذوع ، ولأسفل رأيت مجرى مائيا صغيرا ينحدر نحو الوادى الضيق ..

كان الهواء جامدا .. وفجأة صدر حفيف أشجار ، ثم برز أرنب ركض نحو الغابة أمامى .. فأجفلت ..
كان الجدول مغطى بنباتات كثيفة على ضفتيه .. وعلى الأرض انتشرت بقع أرجوانية من فطر نام ..
شعرت برغبة شديدة فى النوم ، فأغمضت عيني قليلا ، ثم صدوت على صوت من بين الأشجار .. نظرت حولى ثم إلى ضفة الجدول البعيدة ، فرأيت رجلا يمشى على أربعة أطراف كالحیوانات ، يرتدى ثيابا زرقاء ، وله لون نحاسى وشعر أسود .. وأدركت أنه منحن على الماء يشرب .

بدا لى أن القبح هو سمة لا تتجزأ فى سكان هذه الجزيرة ..

شعر بي فالتقت عينا للحنة .. وقف يمسح فمه
بيده وهو يرمقى ، ولمحت شيئاً من الخجل في عينيه .

تبادلنا النظرات لدقيقة كاملة ، ثم انزلق بين
الأشجار عن يميني ، وسمعت الأغصان تحك
ببعضها .. ثم توارى عنا ..

نظرت حولى فى عصبية وندمت لأننى غير
مسلح . برغم كل شيء هو شخصية مسالمة .
وليس متوحشاً ما دام يرتدى الثياب .

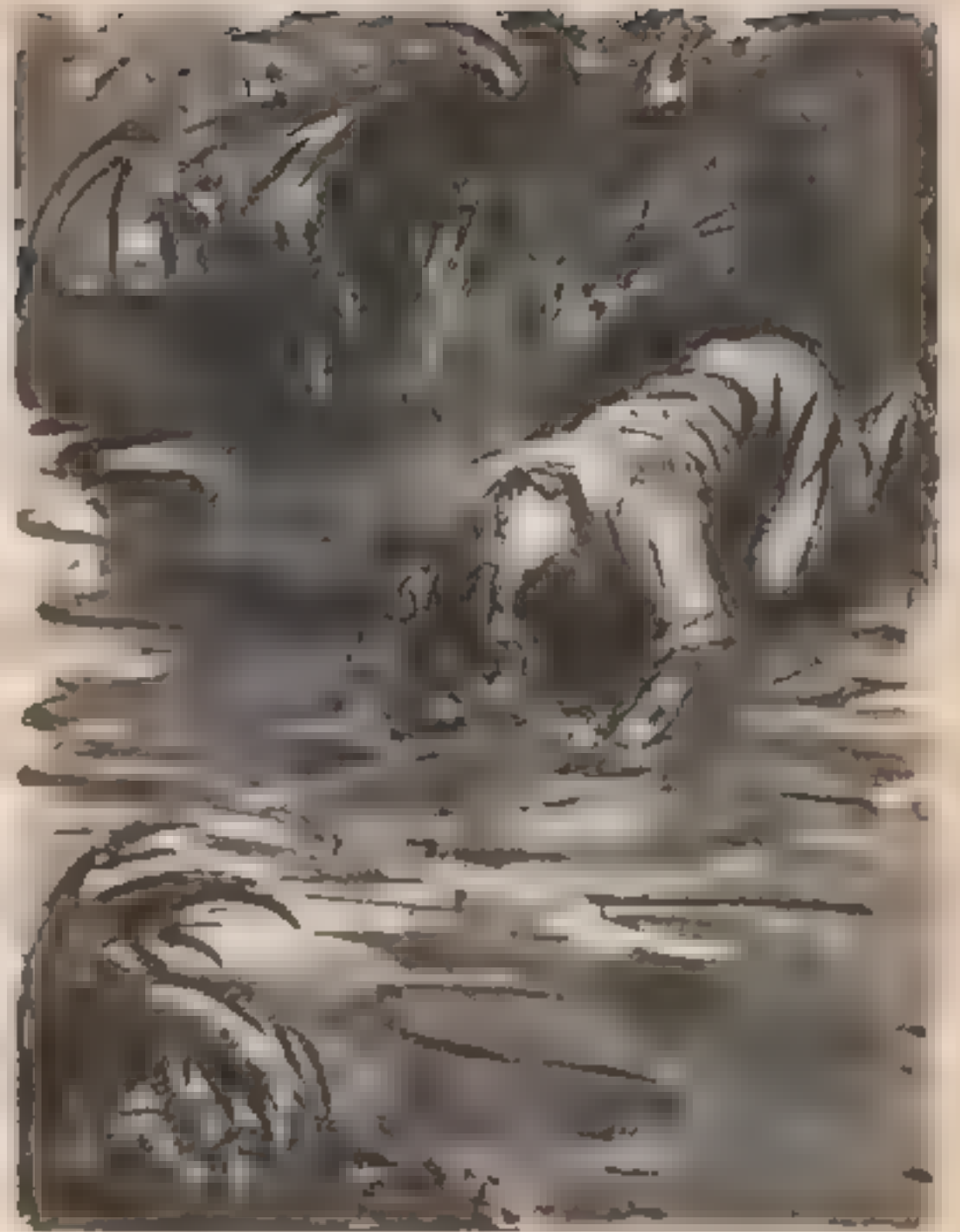
رحت أشق طريقى وأنا أتلفت حولى مرتبكاً ..
لماذا يمشى هذا الشيء على أربع ؟

عبرت الجدول الصغير وواصلت مسيرى .

فى ظل بعض النباتات الكثيفة وجدت مشهداً غير
بهيج .. جسد أرنب دافئ غطاه الذباب اللامع . لقد
تمزق رأسه .

ابتعدت عن مشهد الدماء .. هنا على الأقل تخلصوا
من أحد زوار هذه الجزيرة ! لكم هى مية بشعة !

تبدلت الأشجار حولى لتلائم خيالى : لم تعد الظلال



فرايت رجلاً يمشى على أربعة أطراف كالحوانات ، يرتدى ثياباً
زرقاء ، وله لون نحاسى وشعر أسود ..

ظلالاً بل هي كمائن منصوبة لي .. وصارت كل ورقة
شجر تهديداً ..

قررت العودة للمنزل سريعاً .. اندفعت بين الأشجار
سريعاً راغباً في العثور على مساحة خالية منها ،
وبصعوبة منعت نفسي من مواصلة الاندفاع ؛ فقد كانت
هناك فسحة تصطرع عليها البذور لاحتلال الموضع
الخالي .. وأمامي كانت ثلاثة أشكال بشرية غريبة
منحنية على شجرة ساقطة متحللة ، أحدها يمثل أنثى
والآخران يمثلان ذكرين ..

كان لجلودهم لون وردي غريب ، ووجوههم
مكتنزة بلا ذقون ، وجباههم متراجعة للوراء .. كانوا
يتكلمون بلغة لم أستطع تمييزها ، برغم أنني سمعت
الكلمات بوضوح ..

وبدأت نبرة الكلام تزداد حدة ، وتصاعدت أصوات
توحى بقاء ما ، وإذا بهم ينهضون ليؤرجحوا
أجسادهم مع الإيقاع كأنما يرقصون ..

كونوا دائرة وراحوا يلوحون بأذرعهم .. ومراراً
رددوا ما بدا لي أنه لفظة (ألولا) أو (باتولا) ..

واللعاب ينحدر من أفواههم عديمة الشفاه في تعبير
عن السرور عجيب ..

هنا فهمت للمرة الأولى لماذا أعطتني هذه
المخلوقات ذلك المزيج الغريب من الشعور بالآلفة ،
والاشمئزاز في الوقت ذاته ..

إن كل واحد من هؤلاء - برغم ثيابه ومظهره
الإنساني - يذكرك بحيوان مألوف لديك .. ربما
بالتنزيير .. ثمة مسحة خنزيرية في كل شيء يحيط
بهم .. مسحة لا تلحظ ..

كثروا الآن يثبون في الهواء وهم يئنون
ويصرخون ، ثم سرعان ما هبط أحدهم ليمشي على
أربع . وكانت هذه اللحظة الحيوانية كافية بالنسبة
لي .. وقررت الابتعاد سريعاً ..

* * *

في كل لحظة من ابتعادي ؛ كنت أتصلب خشية أن
يكون أحدهم في إثري .. إذ يتهم غصن شجرة
أو يتعالى حفيف ورقة ، ومراً أن طويل حتى استجمعت
جرائتي وبدأت أتحرك بحرية ..

وصلت لفسحة ما بين الأشجار . وهنا رأيت قدمين
غير متسقتين تمشيان بخطى صامتة ، موازيتين
لاتجاهي ، وعلى بعد ثلاثين ياردة مني .. وكان للرأس
وأعلى الجسد يتواريان وراء الأغصان ..

بلغ توترى ذروته .. وبصعوبة تحكمت في نفسي ..
الآن أرى جسد ورأس الوحش ، وبريق الزمرد في
عينيه إذ نظر نحوي ..

وفي اللحظة الثانية توارى فلم أعد أراه ..

لم يكن معي سلاح ولا حتى عصا .. على كل حال
فهذا الشيء يفتقر إلى الشجاعة اللازمة ليهاجمني ؛
لذا ضغطت على أسناني وتقدمت نحوه في ثبات ..

أخيراً دنوت منه ، قُتبتَ عيني في عينيه وسألته .

- « من أنت ؟ »

قال فجأة :

- « لا ! »

وهرع يركض متوارياً في الأحرش .. كان قلبي
في فمي ، لكنني شعرت بأن فرصتي الوحيدة هي أن
أخدعه ، لذا واصلت التقدم نحوه ..

هنا لاحظت أن الوقت تأخر كثيراً . وسوف يضعف
هذا موقفى كثيراً ..

إن ضوء الشمس يتوارى خلف الأشجار ، وليس
من مصلحتي أن أمضى الليل وسط الاهوال المجهولة
لهذه الغابة .. على أن أفر إلى الحصن ..

إن فكرة أن يظفر بي الظلام وكل ما يداريه الظلام
في هذا المكان المفتوح ، لفكرة لا أحملها ..

مشيت في الاتجاه الذي جت منه .. وفجأة وجدت
ممسحة خائبة من الأشجار . السماء الزرقاء تزداد هامة
فوق رأسي .. غاب اللون عن العالم ، واكتست الأشجار
بلون الحبر ، وذاب الضوء في ظلال غير محددة ..

لا أتذكر أنني رأيت هذا المكان من قبل . والمشكلة
هي أنني كنت أسمع حفيفاً من الأشجار على يميني
طيلة الوقت . رحت أنظر لليمين من أن لاخر لأفاجئ
شيئاً ما يوشك على اللوثب عليّ ..

نقد عاد غريمي ليطاردني . وغمرني فهم غير
سار لحقيقة أنني ضللت الطريق ..

* * *

واصلت مشى الياثس .. والصوت مستمر ..

إما أنه يخاف أن يهاجمنى . وإما أنه ينتظر لحظة الهجوم المثلنى له ..

سمعت شيئاً يقع خلفى .. وخيل لى أن ظلاً أسود يثب فوق ظن آخر ..

لا أشعر سوى بطنين الدم فى أذنى .

الآن أدنو من البحر الهادئ الزيتى تلتصع النجوم فيه ..

لم أر خلفى شيئاً أو رأيت الكثير جداً .. لقد كان كل شكل فى الظلام يوحى بأن له حياته الخاصة ، ويراقبنى فى بقعة ..

الآن أرى الشيء دانياً بمشى منتصباً .. لم يكن حيواناً إذن ..

فتحت فمى لأتكلم ، لكن البلغم الغليظ كان يمدّ حلقى .. حاولت ثانية :

« من هناك ؟ »

لا إجابة .. فتقدمت خطوة إلا أن الشيء لم يتحرك ..

اصطدمت قدمى بحجر فخطرت لى فكرة .. تذكرت ما كان يفعله صبي المدرسة أمام كلب كبير .. لففت الحجر فى منديلنى على شكل مقلاع ، هنا تراجع الشيء متولرياً من جديد ..

بدأت أجرى فوق الرمال ، وسمعت صوت أقدام تجرى ورائى ..

فتمكننى زعر حقيقى وأطلقت صرخة ، وزدت سرعة الركض ..

شعرت بأنفاسى تتلاشى ؛ لأنى كنت أفتقر إلى المران ، وآلمنى صدرى وانفوس خنجر فى خصرى . وتوقعت أن يلحق بى الشيء .. لهذا استندرت للوراء وضربته بالحجر بأقوى ما لدى .. هوت القذيفة على صدغه الأيسر وسمعت صوت الارتطام .. تدحرج ليسقط على رأسه فوق الرمال ..

لم أجد الشجاعة الكافية كى أتفحص تلك الكومة الرمادية ، وواصلت الركض نحو الحصن ..

★ ★ ★

١٠- صراخ رجل ..

أخيراً وبعد غناء وصلت إلى الحصن . وجدت
(مونتجمري) ملهوفاً أعياء البحث عنى ، ولم يبد
مستعداً للإجابة عن أى من أسئلتى ، بل قدم لى بعض
الدواء المنوم .. وقال لى :

« لو لم تتم الليلة فسيحتلى عقلك عنك غدا .. »

وكذا لم أجد مفراً من إطاعته .. ونمت نوماً عميقاً .

صحت فى الصباح ورحت أرمى السقف . كانت
دعاماته مصنوعة من خشب سفينة .. وكانت هناك
وجبة معدة لى موضوعاً على المنضدة ..

نهضت من الفراش المعلق شديد الأرب . فقد قرر
أن يساعدننى على النهوض ، وتلوى لينقى بى على
الأرض ..

كان رأسى ثقيلًا ، تزدهم فيه أغرب الذكريات ..
وهى نسيم الصباح من النافذة ، فأعطتنى شعوراً براحة
حيوانية .

اتفتح الباب خلفى ، وأطل منه وجه (مونتجمري) ..
قال لى :

« حسن .. أنا مشغول جداً هذا الصباح .. »

وتوارى من جديد ناسياً الباب مفتوحاً ..

سمعت صرخة قصيرة لكنها لا تخص (البوما) ..
توقفت عن المضغ منتظراً المزيد ، لكنى لم أسمع
شيئاً آخر .. وقررت أن هذا خيال لذا واصلت طعامى
فى سكون ..

من جديد أسمع صوت أنين ومن يجهش بالدموع ..
هذا ليس صوتاً حيوانياً .. إنه صوت إنسان يتعذب !
غادرت الغرفة فى حذر وخرجت إلى الساحة : لأرى
ما هناك ..

هنا نوى صوت (مونتجمري) :

« (بنرك) يا رجل ! توقف ! »

لكنى اندفعت للأمام لأجد كثيراً جداً من بقع الدم
فى كل مكان . وشممت رائحة حمض (الكربوليك)
المطهر .. ثم رأيت جسداً يقف مربوطاً إلى إطار
خشبي .. جسداً آدمياً تفحصه الجراح ..

١١ - صيد البشر ..

أدركت أن الباب للخارجى لغرفتى لم يكن موصدا ..
وكنيت على قناعة كاملة بأن (مورو) يشرح البشر
الأحياء .. هذا متوقع منه بما أعرفه عنه ..

هؤلاء الوحوش على الجزيرة هم نتاج عبقريته
المخبولة ، أما هذان الوغدان فقد خدعاني .. أنقذاني
ولعبا تمثيلية موحية بالثقة ، كى يفاجئاني بما هو
أبشع من الموت ..

نظرت حولى بحثا عن سلاح .. لا شيء .. كان
هناك مقعد خشبي هشمته وانتزعت منه قطعة خشبية ،
بها مسمار بارز ، مما أعطى مسحة من الخطر لسلاح
لا خطر منه ..

سمعت خطوات قادمة ففتحت الباب ، فوجدت
(مونتجرى) على بعد عشرين ياردة .. هويت
بالصراح على وجهه لكنى لم أصبه ، وهرعت جارىنا
نحو خارج المنزل ..

ولمحت وجه (مورو) العجوز شاحبا مخيفا .. مدَّ
يده يجذبني من ذراعى للوراء .. يده الملتطخة بالدم ..
كان قويا حتى إنه حملنى إلى غرفتى كطفل ،
وسرعان ما دار المفتاح فى القفل ، وجاء صوت
(مونتجرى) يحاول إقناعه بشيء ما ..

صوت (مورو) يقول :

- « يهدم مجهود عمر بأكمله » .

- « لكنه لا ينهم .. ا »

- « إننى بحاجة إلى كل دقيقة من وقتى .. »

نهضت من مكاتى وعقلى مزدحم بخواطر مخيفة .
أمن الممكن أن هذا الرجل يمارس تشريح البشر وهم
أحياء ؟ صدمنى السؤال كالبرق فى سماء مكفهرة ..
وفجأة أدركت بوضوح نوعية الخطر الذى يحاصرني
فى هذا المكان ..

* * *

صاح (مونتجمري) :

- « (بندرك) يا رجل ! .. لا تكن سخيًا ! »

إن هي إلا دقائق ويلحق بي لأصير أرنبًا في
معمل .. راح يجري خلفي .. فأتجهت إلى الشمال ،
ورحت أركض عبر الشاطئ ..

كان صدري يتمزق وقلبي يخفق في أذني .. لم
أعد أسمع (مونتجمري) ولا رجله ، وتواريت في
أجمة خيرزان أخشى أن أتحرك ، وأكثر خوفًا من أن
أقرر ما يجب عمله ولا صوت سوى الحشرات التي
وجدتني ، وتنفس البحر الخمول من بعيد ..

كنت أعرف أن (مورو) و (مونتجمري) يحملان
مسدسين ، بينما لا أحمل أنا سوى أكثر الأسلحة
إضحًا : عصا خشبية بها مسمار ..

رحت أفكر في الطعام والشراب ، وبدأت أفهم
عائية موقعي .. أنا لا أعرف ما يمكن أكله .. وجاهل
بالزراعة لا أدري ما يمكن أكله من جنور ، ولا أملك
أدنى فكرة عن كيفية لصطياد الأرانب ..

إن موقعي لمستحيل ..

فجأة سمعت نباح كلب ، وهنا أدركت خطرًا جديدًا ..

هرعت نحو البحر هاربًا من الموضع الذي تواريت
فيه ، واتجهت إلى الماء دون تردد ، حتى وصل إلى
ركبتي ..

عبرت المجري الصغير وأنا أسمع نباح الكلب
دائيا ، وعبرت مجموعة من الأشواك مزقت وجهي
وثيابي ..

لم أكن خائفًا أو قانطًا .. لقد تجاوزت حدود الخوف
والقنوط ، ونما لدي يقين تام بأن حياتي قد انتهت ،
وجعلني هذا اليقين أجسر على أي شيء .. لكم تمنيت
وقتها لو قابلت (مونرو) وجهًا لوجه .. رحمت أعزى
نفسى بأن هؤلاء القوم لو ضيقوا على الخناق ، فلن
يمنعوني من إغراق نفسي .. فقط منعني عن هذا أمل
غامض في أن تنتهي المغامرة بشكل ما ..

رحت أنظر حولي إلى الأشجار ، وفجأة وثب إلى
عيني وجه أسود يرمقني .. كان يتمسك بجذع نخلة ،
ويقول مرارًا :

- « أنت .. أنت .. أنت .. »

في اللحظة الثانية وثب ليقف أمامي . ولم أشعر
نحوه بنفور مماثل لما كنت أشعر به نحو المخلوقات
الأخرى .. قال لي :

- « أنت .. في القارب .. »

قلت :

- « نعم .. كنت في السفينة .. »

نظر لي في اهتمام راح يقر عينيه من وجهي إلى
جسدي إلى عصاي . ثم نظر إلى يده . وعدّ أصابعه :

- « واحد .. اثنان .. ثلاثة .. خمسة .. »

ها لاحظت أن أكثر هؤلاء القوم لهم أيد مشوهة
تنقصها بعض الأصابع لكنني فعلت نفس ما فعله
عيسى حين التحية .

تركني ووثب إلى جذوع النخيل ليتعلق بها

صعدت منادياً :

- « هالو ! .. أين أجد ما أكله ؟ »

- « أكل " تاكل كل طعام الإنسان الآن .. في

الأكواخ ! »



وبجاء وثب إلى عيسى وجه أسود برمسي كان يسمت مكدع

نخلة ، ويقول مراراً : - أنت .. أنت .. أنت !

وتراجعت عيناه عني .. ثم هبط للأرض ، وأدركت أنه يقودني إلى هذه الأكواخ .. لا بد أنها مأوى حنش يعيش فيه مع للوحوش الأخرى .. لربما كانوا ودوين ، ولربما وجدت في عقولهم مقبضاً يمكن أن أتمسك به .. لا أدري لأي مدى نسوا ميراثهم الأدمى ..

كان هذا للمخلوق أنكى بقليل من أن يكون مقوها .. ورأيت يده لشجرة فيلتقط بعض ثمار ناولها لي .. على الأقل هنا يمكن أن أجد ما يمكن أكله ..

كنا الآن بين أشجار بنية محترقة ، ودخان نفاذ الرائحة يصاعد من الأرض ، والطريق يتعرج إلى ممر ضيق من الحمم البركانية المتجمدة ، وهو ممر مظلم للغاية .. توقف مرافقي وقال :

« البيت 1 »

ووقف على حافة مدخنة جيولوجية ، وشممت رائحة كريهة تذكرني بقفص القروء المتمخ في حديقة الحيوان ..

لقد كانوا يعيشون هنا ..

★ ★ ★

١٢ - الناطق بالقانون ..

ممن شيء يدي ، فانتفضت لأجد شيئاً ذا لون وردي ، كطفل مسلوخ أكثر منه أي شيء آخر - له نفس السمات المنفرة المميزة لحيوان (الكسلان) واستطعت أن أميز على جاتبي الممر أكواماً من سعف النخيل ، تم وضعها كأنها أعشاش مظلمة ..

دعاني مرافقي الأول كي أدخل أحد هذه الأعشاش .. هنا خرج وحش بطيء الحركة من أحد هذه المساكن ، وراح يرمقي نون كلل .

قررت أن أخوض المغامرة لآخرها ، وأمسكت العصا من منتصفها ، وزحفت خلف مرافقي ..

كان المكان شبه دائري قريباً من خلايا النحل في مظهره ، وفي أكثر أركانه إظلاماً كانت كتلة عديمة الشكل من اللون الأسود ..

قدم لي مرافقي ثمرة جوز هند مهشمة ، فتناولتها وبدأت أقضمها بلا مبالاة ، برغم رهبتي من هذا المكان ..

ومن المكان الذي يجلس فيه الكائن عديم الشكل :

- « هيه .. إنه رجل ! »

قال مرافقي :

- « هو رجل . رجل خمسة مثلي . (*) »

زأر القابع في الظلام :

- « اخرس .. ! »

ثم عاد يسأل بعد صمت مخيف :

- « إنه رجل .. هل جاء ليعيش معنا ؟ »

كان في صوته صفيح غريب ، لكن لكنته الإنجليزية كانت ممتازة إلى حد يثير الدهشة .. نظر لي مرافقي كأنما يتوقع شيئاً ، وقال :

- « جاء يعيش معنا .. »

- « إنه رجل .. ويجب أن يتعلم القانون .. »

نظرت للوراء لأدرك أن فتحة العرش يسدها رأس أحدهم ، لم أتبين ملامحه .. لكنه كان شكلاً أكثر سواداً من السواد .. وتقلصت يدي على عصاي ..

هنا صاح الشيء القابع في الظلام :

(*) يعني أنه يملك خمسة أصابع مثله ..

- « لا تمش على أربع .. هذا هو القانون .. »

قال مرافقي ليزيل حيرتي :

- « قل الكلمات .. »

ورددت الأصوات نفس الكلمات في الظلام ، بنبرة مهددة .. فأدركت أن عليّ أن أردد هذه الصيغة البلهاء .. هنا بدأت أكثر للمواعظ خيالاً ..

لقد راح الكائن القابع في الظلام يردد نوعاً من الوعظ المجنون ، بقوله سطرًا سطرًا ، وكان عليّ أن أردد هذا وراءه .. وكانوا يرددون معه تلك المقاطع وهم يتميلون إلى الجانبين ، ويضربون بأكفهم على أفخاذهم ..

كان من السهل على الآن أن أتخيل أنني ميت وفي عالم آخر ..

- « ألا نمشي على أربع .. هذا هو القانون .. »

ألصنا رجالاً ؟

- « ألا نمتص الشراب .. هذا هو القانون .. ألصنا

رجالاً ؟ »

- « ألا نفرس مخالفينا في لحاء الأشجار .. هذا هو القاتون .. ألسنا رجالاً ؟ »

- « ألا ندوق السمك أو الطير .. هذا هو القاتون .. ألسنا رجالاً ؟ »

وتدريجياً اندمجنا في الترييد ، ورحنا نكرر هذا القاتون الغريب بصوت عال وإيقاع متسارع ، بينما أسخر في داخلي من كل هذا ..

- « ملكه .. هو بيت الآلام .. »

- « ملكه .. هي اليد التي تصنع .. »

- « ملكه .. هي اليد التي تجرح .. »

- « ملكه .. هي اليد التي تداوى .. »

كلام لا يمكن فهمه عن (هو) الذي لا أدرى كنهه ..

- « ملكه .. هو البحر العميق المالح .. »

- « ملكه .. هو الضوء للامع .. »

وخطر لي تصور مرعب .. لا بد أن (مورو) بعد ماشوه هؤلاء الرجال ، ادعى الألوهية أمامهم .. إنهم يمارسون لونا من العبادة .. لكنى - وقد رأيت لسناتهم الحادة ومخالبهم الطويلة - لم أكف عن الترييد معهم ..

- « ملكه .. هي النجوم اللامعة في السماء .. »

الآن تعودت عيناى الظلمة ، واستطعت أن أرى ذلك الكائن في السواد .. كان في حجم الإنسان لكنه مغطى بشعر رمادى كثيف ..

فرغوا من ترييدهم ، فقال مرافقى وهو يشير إلى :
- « إنه رجل خمسة مثلى » .

مددت يدي ، فالتحنى المخلوق الرمادى ووضع مخبئا مشوها يلمس به أصابعى .. كان بوسعى أن أصرخ ألما ودهشة .. وفي الضوء الخافت لم يكن له وجه إنسان ولا وحش .. مجرد كتلة من الشعر الرمادى لها ثلاثة ثقوب في مواضع العينين والفم ..
قال لى :

- « أنا الناطق بالقاتون .. إننى أجلس هنا فى الظلام وأقول القاتون .. »

أضاف أحد القابعين على الباب :

- « هو كذلك .. الشر هو عقاب من يحطمون القاتون .. لا أحد يهرب .. »

- « لا أحد يهرب .. »

كذا رددت الوحوش الأخرى وهي تتبادل النظر
التذر

- « البعض يريد أن يطارد الأشياء التي تتحرك .
أن يزحف أن بعض بعض عصف ويمنص الدم
هذا سمين ألا يطارد البشر هذا هو القاتون
السنا رجالاً ؟ .. »

قال وحش آخر :

- « لا أحد يهرب .. »

- « الرغبة قاسية البعض يريد أن يفرس محالبه
في الأشجار . البعض يريد أن ينش في قبور
الموتى البعض بعض عذو البعض يحب القذرة .
البعض يريد الشحر بضرب الحباد والاضفار .. هذا
سمين .. »

قال الوحش الوردي الشيء حيوان (الكسلان) :

- « لا أحد يهرب .. »

- « العقاب أكيد وقاس لهذا تعلموا القانون
وهكذا رحب نردد القاتون من جديد ونحن نترجح

* * *

لم أسمع تنب من الضوضاء بالخارج . حتى صاح
أحدهم بحماسة شديدة لم أسمع . وعلى الفور احفني
المحتشدون بالكوخ ووثب الشيء الفزع في الظلام
هارباً بدوره ..

وفي اللحظة النسيبة سمعت ببح كنب . وسرعان
ما عذرت الكوخ وات انوح بعضي . وكل اعصابي
ترتجف ..

كان حوالي عدد لا بأس به من هؤلاء البشع -
الوحوش وقد توارت رؤوسهم بين أنواح اكتافهم .
وكنوا يلوحون في رهبة ..

رأيت الوجه الشاحب - (مورو) قادم من بعيد
ممسكاً بالكنب ، وخلفه جاء (مونتحمري) ومسدسه
في يده ..

نظرت إلى بعني فوجدت على بعد ستة ياردات .
فتحة في الحدار بدخ من هنا ضوء الشمس . فاسرعت
نحوها .. وسمعت (مورو) يصيح :

- « توقف ! .. أمسكوه ! »

نحن من الحظ كانت عقولهم الحيوانية بطيئة

هاجمنى (الكسلان) الوردى فضربتة بالمسمار فى
وجهه القبيح ، ثم وثبت من الفتحة ..

تسلقت المنحدر .. وقفزت لأتدحرج وسط غبار
الكبريت .. ثم ركضت حتى وصلت إلى مساحة من
الأشجار الكثيفة .. كان الهواء من حولي مفعفاً
بالصرخات المنذرة وصوت تهشم الفصون .. بعض
المخلوقات تعوى وتزار ..

ركضت إلى اليمين وواصلت الهرب .. كانت
الأرض هنا موحلة لكنى كنت قاتطاً ، ووصل للطين
إلى ركبتى .. بينما صوت (مونتجمرى) يتعالى ..

خيل إلى أنه كان يطلب منى للفرار من أجل هيتى ..
يجب أن أصل إلى البحر لأجد فرصة أغرق بها
نفسى ، ولم أدر متى سقطت منى عصاى .. لكنى
فقدت أصواتهم على كل حال ..

شعرت بما هو أكثر من السرور الآن .. يبدو أننى
فررت منهم .. لا صوت حولي سوى صوت للحشرات ..
وفجأة بدأت الأصوات تتعالى من جديد ..

★ ★ ★

١٣ - محادثة ..

رحت أركض على حافة البحر .. ونظرت للوراء
لأجد مطاردي قد وجدونى .. كنت أكثر يأساً من أن
أموت ، وهى مقولة غريبة لكن من يعرفون الخطر
يفهمونها بسهولة ..

كانت الشمس الغاربة تلتمع بأشعتها على عيني ،
والمد يتعالى ..

راحوا يتقدمون نحوى ، بينما أقف أنا أرمق
دتوهم عاجزاً عن عمل شيء ..

استدريت نحو البحر وتوغلت حتى وصل الماء إلى
خصرى ..

صاح (مونتجمرى) :

« ماذا تفعل يا رجل ؟ »

استدريت له .. كان وجهه محمراً من الجهد
والإرهاق ، وشعره الكنتلى يتطاير فى الهواء ، ووراءه

جاء (مورو) شاحبا صارما .. ورأيت في يدي
الرجلين سوطين غليظين ..

قلت :

- « ماذا أفعل ؟ أغرق نفسي ! »

سألني (مورو) بعدما تبادل النظر مع
(مونتجمرى) :

- « لماذا ؟ »

- « هذا خير من أن تعذبني أنت .. »

- « ولماذا تعتقد ذلك ؟ »

- « ما رأيته هناك .. لقد كان هؤلاء رجالا فيلام
صاروا ؟ إنني لن أصير واحدا منهم .. »

صاح (مونتجمرى) في قلبي :

- « بحق السماء يا (بندر) ! كف عن هذا ! »

ورأيت الرجال - الوحوش يتبادلون النظرات كأنما
يحاولون فهم ما يقال ..

قال (مورو) بصوت هادئ بعد تفكير قليل :

- « اصغ إلى أولاً ثم قل ما تريد قوله . »

- « وماذا ستقول ؟ »

- « إنها عملية تشكيل بشرية . تعمل للشيطان
وستفهم .. إن الماء بعد اتعكن الذي تقف فيه عميق
وملئ بالمسك القرش .. »

- « ذلك هو طريقى .. قصير أليم .. »

- « إنني أنتظر لحظة . »

ورأيت شيئا لامعا يخرج من جيبه . فبصعته على
الرمال ، وقال :

- « هذا مسدسى و (مونتجمرى) هنا سيفعل
أنشيء ذاته . سنبعد إلى المصافة التي تراها امنة .
ثم تعال لتأخذ هذين المسدسين .. »

- « لا | لا بد أن معكم مسدسا ذنت »

- « فكر جيدا يا (بندر) . نحن نم نطلب منك
المحرء لهذه التحذيرة . ولو كنا نشرح الرجال لكن
عنيت أن نجلب رجلا لا وحوشا . أنت كنت
تحت تأثير المخدر وتحت رحمتنا ليئة أمن . وكان

بوسعنا أن نفعل بك ما نشاء .. لقد أردنا سلامتك ؛ لأن
هذه الجزيرة ملأى بالظواهر الغريبة ..

وعلى كل حال : لماذا نقتك بالرصاص ما نمت
تطوعت بإغراق نفسك ؟ »

بدا لي الكلام منطقياً ، وهنا قال (مونتجمري) :

- « أنت حمار أحمق يا (بندرك) . اخرج من
الماء وخذ المسدسين وتكلم .. ليس بوسعنا عمل
ما هو أكثر من هذا .. »

يجب أن أعترف هنا كعادتي أنني لم أكن لثق
بـ (مورو) ، بل وكنت أهابه .. لكن (مونتجمري)
كان رجلاً أستطيع فهمه .. قلت بعد تفكير :

- « إذن ابتعدا وارفعاً أيديكما لأعلى . »

هز (مورو) رأسه :

- « لانسطيع هذا .. إن هذا مهين للكرامة
أمامهم .. »

- « إذن ابتعدا حتى الأشجار .. »

استدار (مورو) و (مونتجمري) وفرقعا بسوطيهما
ليبعدا للرجال - الوحوش ، ففرّ هؤلاء بعيداً إلى الأشجار ..

صعدت إلى الشاطئ فالتقطت المسدسين . قال
(مورو) دون عاطفة في صوته :

- « هذا طيب . لكنك أضعت أفضل جزء من
يومي بخيلك الأحمق » .

وفي احتقار ذاتي أدار ظهره و (مونتجمري) لي ،
وابتعدا صامتين عنى . مشيت وراءهما بين صفوف
الرجال - الوحوش الذين لم يبتعدوا بعد

* * *

١٤ - د. (مورو) يفسر ..

قال لى د. (مورو) بعد ما فرغنا من الطعام والشراب :

- « الان يا (بنسرك) سنشرح لك .. يجب ان اعترف بانك أكثر ضيقنا بكتاتورية ها هنا . وسوف يكون هذا اخر شيء أفعله لاحامك .. وحين تهدد بالانتحار فى المرة القادمة لن أفعل شيئاً . هل لعل هذا سيرضينى نوعاً ما .. »

وجلس فى مقعده وبين أنامله للبارعة الدقيقة سيجار ، ونظر خارج الساقذة ليرمى النجوم . كانت المسدسات فى متناول يدى طيلة الوقت .

قال (مورو) :

- « أنت قد رأيت المخلوق الذى شرحناه حياً فى الغرفة الداخلية . هل أنت مقتنع الآن أنه (البوما) ؟ »
- « إنها (البوما) .. ما زالت حية لكنها ممزقة كما لم أر لهما حياً قط .. »

- « دعك من مخاوف الشباب ، فقد كان (مونتجمرى) مثلك يوماً ما .. والآن اصمت ريثما ألقى محاضرتى على مسامعك .. »

وبدا يتحدث فى لهجة رجل شديد الملل ، سرعان ما بدأ يتحمس شيئاً فشيئاً ..

ومن حين لآخر كنت أجد لمسة سخرية فى صوته :
- « إن الرجال الذين رأيتهم لم يكونوا رجالاً .. لم يكونوا رجالاً قط .. هم مجرد حيوانات تمثل انتصار عثم الجراحة .. إننى مندهش لأن ما فمت به هنا لم يمارسه أحد من قبل .. أنت تعرف أن الحول يمكن إحدائه أو علاجه بالجراحة .. كذا البتر .. وكذا تغيير الأنسجة المخية .. »

- « لكن مخلوقاتك القبيحة هذه .. »

هز يده ليسكتنى وأردف :

- « صبراً فلنا لم أبدأ بعد .. كتبت هذه نماذج طفيفة للتغيير ، لكن الجراحة يمكنها صنع ما هو أفضل . هناك بناء كما أن هناك هدماً .. فى جراحة التجميل يشرحون شية من جلد الجبين ويثبتونها على

الأنف المشوه ، إلى أن تكتسب هذه إمدادها الدموي من الأنف ، عندها يقطعون اتصالها بالجيبين .. هذا نموذج لزراع أنسجة من حيوان لنفسه .. وبالمثل يمكن زرع أنسجة من حيوان لحيوان آخر .. لقد نجح (هنتر) في أن يزرع ساقاً في عنق الثور .

قلت :

- « كهذه الوحوش على الجزيرة إذن ؟ »

- « نعم . هذه الوحوش التي رأيتهما هنا هي حيوانات تم تغيير شكلها .. إن كل شيء يكمن في علم التشريح التطبيقي .. لكن ما من أحد امتك الجراحة كي يمارسه .. وأنا لا أغير فقط شكل الحيوان الخارجي بل أغير كيمياءه الداخلية وفسولوجيته .. تذكر أطباء العصور الوسطى الذين كانوا يغيرون أشكال البشر ليكونوا متسولين أو غرانب للسيرك ، وما زال جزء من فئهم باقياً يمارسه الحواة والأطباء الدجالون .. لقد حكى (فكتور هيجو) عن هذا في روايته (الرجل الضاحك) ..

« أعتقد أنك تفهمنى الآن .. إننى ارتدت مجالاً

ارتلده منذ زمن مربو الخيول والكلاب الذين يبتكرون سلالات جديدة ، وكنت أنا أول من يرتاده مسلحاً بالجراحة الحديثة المعقمة .. »

- « ولكن .. تلك الحيوانات تتحدث ! »

- « قلت لك إننى لا أكتفى بتغيير الشكل .. إن التعليم الأخلاقى هو ببساطة عملية تبديل الغريزة : تبديل غريزة العدوانية إلى التصحية بالنفس ، وتبديل الكبت إلى الحماس المتحفظ .. »

بدأ لى فى هذه التجربة بعض الشر .. وقد اعترف لى بهذا :

- « كان بوسعى أن أحول الخراف إلى (لاما) والعكس .. لكن هناك فى المظهر الإنسانى ما يفرى العلم بالتجربة . على أننى فى مرة أو مرتين قد جربت لماعاً غير بشرية و ... »

وصمت برهة ثم قال :

- « تلك الأعوام ! لكم تتصرم سريعاً ! اليوم أضعت يوماً كاملاً أحاول إنقاذك . والآن أضيع ساعة كاملة أبرر فيها نفسى لك ! »

- « لكنى لا أفهم بعد مبررك لكل هذا الألم الذى تسببه للحيوانات .. »

- « إن موضوع الألم هو ما يفرق بيننا .. فبما أن الألم المرئى أو المسموع يصيبك بالغيثان ، وبما أن آلامك تقودك وتغلف أفكارك عن الخطيئة ؛ مستظل حيواناً لا يفكر فى شيء يزيد غموضاً عما يفكر فيه الحيوان .. »

هزئت كتنى معبراً عن رأى فى هذه السفسطة ..
فقال :

- « إن عقلاً مفتوحاً للعلم يجب أن يجد الألم شيئاً هيناً .. فقط فى كوكبنا يمكن أن يوجد شيء يدعى الألم .. »

وكان يتكلم وهو يمد يده إلى مدينة صغيرة ،
سندها إلى فخذه ثم غرسها ..
ولم يظهر أية علامة على التأثر ..

وقال :

- « لما لم أسمع قط عن شيء عديم النفع لم يستأصله

التطور عاجلاً أم آجلاً .. والألم قد صار شيئاً لا حاجة للمرء فيه .. إبنى رجل متدين يا (بندرك) كما ينبغى لكل رجل عاقل أن يكون .. فقط أنا أرى للذين بزواوية لوسع منك .. لقد بحثت كثيراً فى قوالب الوجود ، بينما كنت أنت تجمع الفراشات .. إن الألم ليس سوى علامة على حيوانيتنا ، هذه هى الطريقة العلمية الوحيدة للى أعرفها .. سألت سؤالا ثم بحثت عن إجابة .. والآن وجدت لدى سؤالاً طارحاً .. هل هذا ممكن ؟

« إن ما تراه أمامك ليسوا حيوانات بل مشاكل علمية .. »

« كان هذا منذ أحد عشر عاماً حين جئت لهذه الجزيرة مع (مونتجرى) وستة من (الكاتكاس) (*) .. أنكر الجزيرة الصامتة والبحر الخاوى كما لو كان هذا أمس .. بنينا الحصن وعاش (الكاتكاس) فى أكواخ منفصلة ..

« كتبت أول تجاربى على خروف ، صنعت منه كتنة من البشاعة والألم .. وحين تفحصته لم أرى عنه ..

وكان له ذات ذكاء الخراف ، وكان يرتجف متى
هلغا كلما رأى حتى انتهى قررت إنهاء عذابه ..

« بعد هذا مارست الجراحة على غوريلا كانت
لدى .. أجريت التحويل بدقة بالغة وقهرت صعوبة تلو
صعوبة .. كان (مونتجرى) يرتجف هلغا مثلك الآن
وهو يسمع صراخ الشيء ..

« وفي النهاية ثار (الكاتكاس) علينا ورحلوا
ومعهم الليخت ..

« بعد ستة أشهر علمت المخلوق مبادئ الأبجدية
والعد ، لكنه كان غيباً برغم أنني قابلت أحق منه ..
« في النهاية التأمت جروحه ، واستطعت أن أقدمه
إلى (الكاتكاس) العائدين باعتباره لاجئاً ذا شأن ..
قبلوه بصعوبة ، لكنهم بدعوا يعالونه ، ومرعان ما تعلم
منهم الكثير ، وابتنى كوخاً أفضل بكثير من أكواخهم ..
« لقد مات أكثر (الكاتكاس) الآن .. وقد استبدلتهم
بهذه المخلوقات .. فلم يعد واحد منهم ليحكى للعالم
ما حدث »

« كيف ماتوا ؟ »

« الحق أنني صنعت كائناتاً ما .. شيئاً مروعاً مليئاً
بالتجاعيد ، يزحف كالأفاعي على الأرض ، وقد فرّ
بطريقة ما .. لقد فتك بكل رجال (الكاتكاس) وطارده
و (مونتجرى) حتى شمال الجزيرة حيث أطلقنا عليه
الرصاصة .. »

وصمت برهة ثم أضاف :

« وهأنذا مستمر في تجاربي منذ عشرين عاماً ،
لكني دائماً أجد ما يجعطني غير راض ، ويتحدثني ويدفعني
نحو المجهول . دائماً أظل بعيداً عن ذلك الذي أحلم
به .. هناك في عقل هذه الوحوش مخزن متوار
للشهوات ينتظر الانفجار في أية لحظة .. وثمة شيء
ما هو الذي أثار رعبك منهم حين رأيتهم في البداية ..
هذا هو ما أحاول أن أقهره في كل مرة أبدأ فيها
تجاربي على حيوان جديد .. هذه الوحوش سريعة
للتقلب ، وما إن تغفل عيناى عنهم حتى يصحو الوحش
داخلهم .. إنهم يخافون هذا المنزل ويخافوننى ، لهذا
أستغل هذه النقطة جيداً .. لست مهتماً بهم البتة على
عكس (مونتجرى) الذى يميل لبعضهم ..

« يا للوحوش البائسة ! إنهم خلقوا لأنفسهم شيئاً

يدعى (القانون) يقنونه فيما بينهم .. لكن الغضب
والشهوات سئيش وتتنصر فى النهاية ..

تأمل هذه (البوما) .. لقد أجريت عملاً طيناً على
جسدها ومخها ، وأرى أنها ستكون بداية موفقة
لمرحلة جديدة ..

« والان مارأيك ؟ هل مازلت تخافنى ؟ »

إجابة على هذا السؤال ناولته المسدس ، وقلت :

« أبقه معك .. »

وتناحيت ، فقال وهو يتنسم :

« كان يومك عصيباً . لهذا أتصحبك بالنوم

السريع .. »

ونظر لى مفكراً لحظة ثم غادر المكان ..

جلست وحدى أغالب الخمول عاجزاً عن التفكير
فى شيء ، وبجهد بالغ أطفأت الضوء وغبت فى
سبات عميق ..

* * *

١٥ - عن الرجال - الوحوش ..

صحت مبكراً وكلمت (مورو) أمم عيني واضحة
جلية ..

طرق أحدهم الباب وسمعت الصوت الغليظ لتبع
(مونجمرى) - واسمه (ملينج) - فسمحت له بالدخول .
وأنا أمسك بأحد للمسدسات فى يدي . دخل الحجرة ،
وهو يحمل صحيفة عليها خضر مسلوقة وأرنب مسين
الطهى .. وتبعه (مونجمرى) الذى ابتسم لى ابتسامة
جلية .

تحدثت مع (مونجمرى) عن الوحوش الموجودة
هنا لأبين ما لم أفهمه بعد ، خاصة كيفية منعهم من
الفتك بالرجلين أو تمزيق بعضهم البعض . شرح لى
أن سلامة (مورو) هى نتيجة وهن عقل هذه
الوحوش . فبرغم ذكائهم المتزايد إلا أنهم يحملون
أفكاراً ثابتة عن (مورو) .. إنهم منومون مقنطريسياً
حقيقية . ولقد غرمن الأخير تلك الأفكار فى عقولهم
بما يقهر لية محاولة لتتشكك أو شق عصا الطاعة

الخطر الوحيد كان أن تتذوق تنكم الوحوش طعم
الدم . فلکم من مشاكل يمكن لهذا المذاق أن يسببها .
وقال لي (مونتجمري) إن القاتون - خاصة مع
اكلات اللحوم - يضعف تأثيره ليلاً . عندها يجرو
الوحوش على ارتكاب أعمال ما كانوا ليحلموا بها
نهاراً .. إنهم يخالفون القاتون فقط في الظلام . ولهذا
طاربنى الرجل - الفهد ليلة أمس .. أما في الصباح
فيسود جو من الاحترام والاستسلام ..

عرفت من (مونتجمري) كذلك أن هناك ستين من
هذه الكائنات على ظهر الجزيرة . ولا نعدّها هنا
الوحوش الصغيرة غير ذات المظهر البشري التي
تتوارى بين الأشجار . وعددها حوالي مائة وعشرين
إلا أن أكثرها مات ..

قال لي (مونتجمري) إن الوحوش تتكاثر لكن
ذريتها غالباً ما تفنى . وتلك الذرية لا تشبه الآباء في
صفات المكتسبة ..

إن عيني غير مدربة على التفاصيل . ولا أستطيع
أن أرسم : لكن أهم ما يلفت النظر في هذه الوحوش
هو عدم التناسق بين قصر أرجلهم وطول أجسادهم ..

يثير الانتباه كذلك ذلك المتحنى غير الإنساني
للعصود الفقري ..

ذلك الانحناء للأمام الذي يجعل الإنسان مميزاً
وجميلاً ..

كانوا مشعرين بشدة . ولهم فكوك بارزة وأنوف
ضخمة .. وعيونهم دائماً لها لون غريب أو موضع
أغرب ..

لقد حافظ كل منهم على خواص جنسه الأصلي برغم
كل شيء . ولم تنجح السمة الإنسانية في إخفاء الدب
أو الخنزير ..

كان أكثرهم إثارة للرعب هو الرجل : الفهد .. بعد
ذلك تأتي المخلوقات الشبيهة بالثيران التي رأيتها في
أثناء إفراغ محتوى اللش . ثم ذو الشعر الفضي
الناطق بالقاتون .. بعد هذا يجيء مخلوق يشبه
(المسكير) هو مزيج من قرد وماعز معا^(*) .. ثم
رجال خنازير . وكان مزيج من وحيد القرن والثور ..

(*) المسكير من الكائنات الأسطورية في الميثولوجيا
اليونانية . ويشبه ماعز يمشي على قدميه الخلفيتين . وفيما بعد
اقتربت صورته لدى الرسامين بالشيطان ..

ثمة مخلوقات ذبسية ورجل من طراز (سالت برنارد) ،
ولم أره تشبه لقط كريهة ولها راحة شيطانية ، هي مزيج
من الشعلب والدب وقد كرهتها منذ اللحظة الأولى ..
كنت أحدهم كثيرا في البداية ثم بدأت اعتادهم مثل
(مونجمرى) . ولكن هذا قد رأى حشرة البشر حتى صار
يجد راحتته أكثر مع الوحوش ، واعتاد أن يذهب
لإفريقيب فى كل عام لبيع الحيوانات من مراحل
(مورو) هناك ..

* * *

أقول إننى اعتدت هؤلاء القوم ، وتكرهجيا صرت
أحاول تذكر كيفية اختلاف كل منهم عن البشر .
أحيانا أنظر لوجه أحدهم وأتخيل أننى رأيت فى
مكان ما فى (إنجلترا) ..

لكننى أحيانا كنت أصطدم بالحقيقة المسافرة
المصادمة . أمر بأحدهم يجلس على باب عرينه ، فإذا
به يفتح فاه ويثأعب كلشفا عن أسنن كالخناجر
ومخالب فى ثراعيه كالمضى .. فو لئفى امرأة منهم فى
طريق ضيق فاجد - لشدة ذعرى - أن حذفتى عينيها
مشقوقتان طوليا ..

* * *

١٦ - كيف تذوق القوم الدم ..

إن قلة مهارتى ككاتب تخوننى ، وإننى لأبتعد عن
خيط قصتى ..

لقد أفسدنى (مونجمرى) بعد الإفطار لأرى فتحة
البركان ، التى يصاعد منها البخار التى تراها عند
النوم من الجزيرة ..

سمعنا أرتبا بصرخ ، فتصلبنا .. لكننا لم نر شيئا ،
لذا واصلنا طريقنا بعد هذا ونسينا الحادثة ..

بعد هذا واصلنا المشى فإذا بنا نجد شجرة قد
تمزق لحاؤها بفعل مخالب طويلة .. تأملها
(مونجمرى) باهتمام وغمغم :

« ألا نغرس مخالبنا فى لحاء الأشجار .. هذا هو
القتون . لا أعتقد أنهم يهتمون به كما يدعون ! »

قابلنا لـ (سقير) منهمك فى التهام بعض الثمار ..
كان وجهه كوجه الأغنام ، وصوته كثفاء الماعز ،
وقدماه كقدمى الشيطان .. فلما رأنا قال :

- « التحيّة للآخر ذى السوط » .

كان يتحدث عن (مونتجمري) .. فقال له هذا
الآخر مشيراً الى :

- « ثمة ثالث ذو سوط كذلك ، ويجب أن تفكر
فيه .. »

نظر لى الـ (ساتير) والرجل - القرد فى فضول ..
وقالا :

- « الثالث ذو السوط الذى يمشى باكياً فى البحر ..
إن له وجهاً طويلاً شاحباً .. »

نضقب (مونتجمري) :

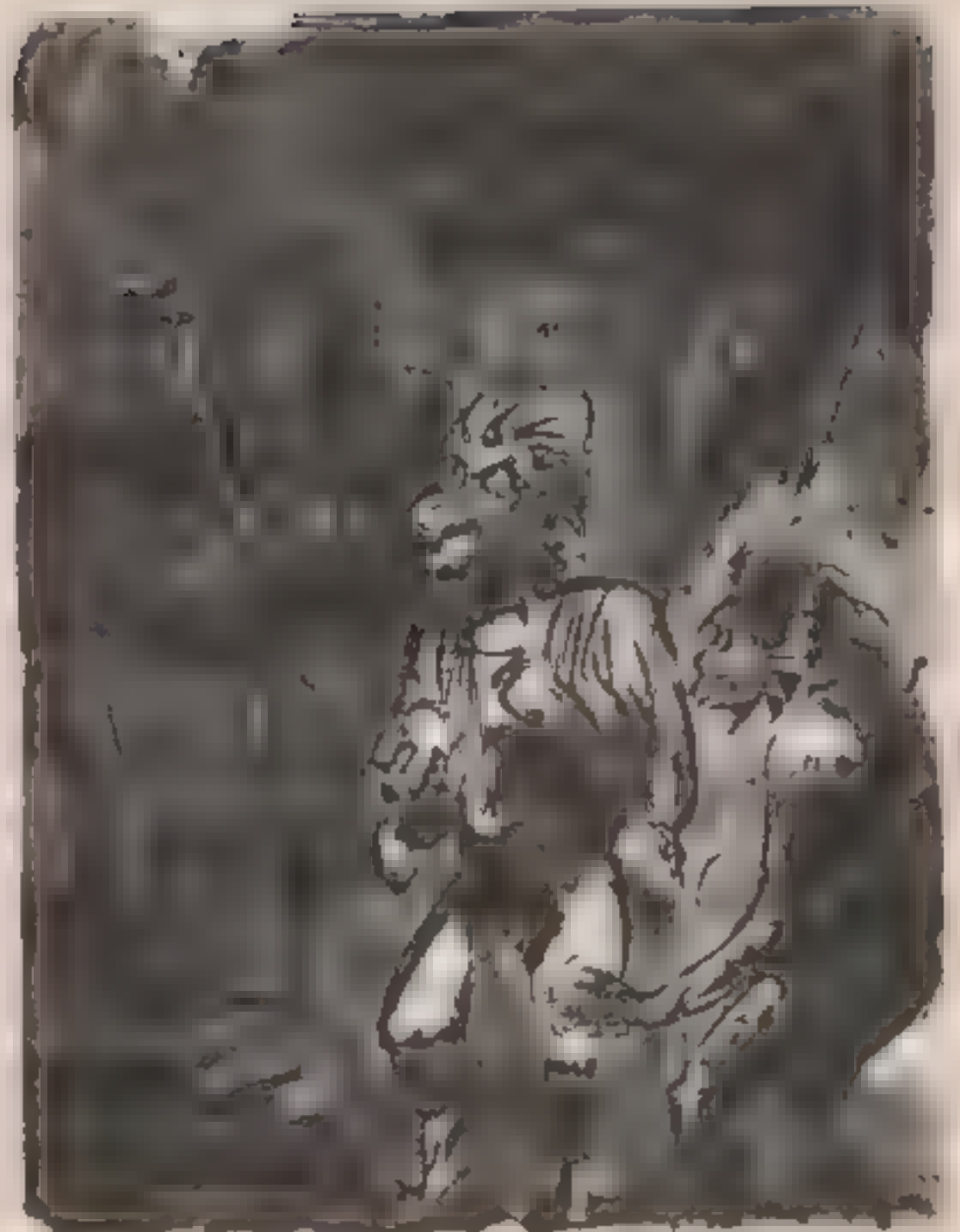
- « وكذلك له سوط طويل رفيع .. »

قال الـ (ساتير) :

- « أمس نرف وبكى .. لنت لا ننرف ولا تبكى ..
الميكلا ينرف ولا يبكى » .

صاح (مونتجمري) :

- « أيها انشعاز الأحمق ! مستنرف وتبكى إن لم
تحترس ! »



قال لى الـ (ساتير) مبهماً فى التهام بعض الثمار كان وجهه
كوجه الأعمام ، وصوته كشعاع الماعز ، وقدماه كقدمى الشيطان

وتأبط نراعى ليعدنى عنهما ، وسمعت الرجل -
القرء يقول :

- « أمس سألنى عن شىء يأكله .. لم يكن يعرف .. »
وراح يتهامس مع لك (متخير) بصددى ..

★ ★ ★

توقف (مونتجرى) وتأمل جسد الأرنب الصغير
الذى تمزق إلى أشلاء ، وقد قضت عظمة ظهره
الفقرية ، فصاح (مونتجرى) :

- « رياه ! »

وانحنى إلى الأمام ، والتقط بعض الفقرات
المهشمة ليفحصها بعناية ، فقلت له :

- « يبدو أن بعض وحوشكم تنكرت الماضى ..
إننى لا أحب هذا .. ولقد رأيت مشهداً مماثلاً فى اليوم
الأول الذى جئت فيه هنا .. »

بدت عليه الدهشة ، وتساءل :

- « أحقاً ؟ ماذا رأيت بالضبط ؟ »

- « أرنبا انتزع رأسه خلف الحصن ، فى أول يوم

جئت فيه .. بل إننى أكاد أعرف من فعلها .. لقد
رأيت أحد وحوشكم يشرب من النهر فى ذلك اليوم
وبعد الاغتياى مباشرة .. »

- « هذا هو أسلوب اللواحم .. بعد الاغتياى
تشرب .. إنه مذاق الدم كما تعرف .. هل يمكنك
تعرف هذا الوحش ثنية ؟ »

- « يمكننى ذلك بالتأكيد .. »

قال فى شرود وهو يستوثق من حشو معدسه :

- « لقد حرصنا على ألا تلتهم هذه الوحوش أى
شىء يجرى على الأرض ، وها هو ذا أحدهم قد ذاق
الدم .. لقد قارفت اليوم خطأ جسيماً إذ جعلت تابعى
بظهو لك أرنبا ، والغريب أننى لمحتة يلعق يده بعد
الظهو ، ولم أعلق على هذا أهمية كبرى . ولرى أنه
لا بد من إبلاغ (مورو) .. »

★ ★ ★

اهتم (مورو) بالموضوع ، وبدت عليه علامات
للخطورة أكثر من (مونتجرى) بكثير .. ويجب أن
أقول هنا إن جنيتهما أثارت قلقى ..

قال لـ (موتجمرى) :

- « ليتك قاومت شهيتك لأكل اللحم .. وبذلك كنت

تقينا هذه المشاكل »

- « لقد كنت أحمق مخيفا ، لكن ما كان قد كان ..

وعلى كل حال أنت سمحت لى بجلب هذه الأرتاب

معى .. »

- « إن هذا الموضوع يجب أن يسوى سريفا . »

وعند الظهيرة اتجهت مع الرجلين والتابع إلى

أكواخ الوحوش ، وكان ثلاثتا مسلحين و (مورو)

يحمل على كتفه نفير ماثية كبيرا ..

عبرنا الأخدود حيث يتصاعد البخار الساخن ، وفى

النهاية وصلنا لمساحة خالية تغطيها مادة صفراء

كأنها الكبريت ..

أطلق (مورو) صياح النفير فحطم الصمت

الناعم للعصر ، وكاد الصوت يثقب مسامعنا .. يبدو

أن رنثيه قويتان حقاً ..

وبعد قليل سمعنا صوت تهشم الفصوص ، ثم بدأت

المخلوقات تظهر من الجهات الست ، فلم أستطع أن

أمتنع قشعريرة مرت فى ظهري ..

احتشدوا حول (مورو) ، وراحوا يرددون

لا شعورياً النصف الأخير من القانون :

- « ملكه .. هى اليد التى تجرح .. »

- « ملكه .. هى اليد التى تداوى .. »

صاروا الآن على بعد ثلاثين ياردة ، فجثوا على

ركبهم ، وراحوا يهيلون على رعوسهم الغبار

الأصفر . تخيل المشهد لو استنطعت .. إنه مشهد

لا تراه إلا فى أسوأ كوابيمك ..

عدّ (مورو) الرعوس ، فوجد أن ثلاثة وحوش

ناقصة .. أعاد نفخ النفير فجاء للرجل - للفهد والرجل -

القرد ..

سألهم (مورو) :

- « أين الناطق بالقانون ؟ »

حتى الوحش رمادى الشعر رأسه ، وتمرغ فى

التراب . فأمره (مورو) بأن يتلفظ بالكلمات .. راح

هذا يردد المقاطع حتى وصل إلى :

- « ألا تاكل السمك أو الطير .. هذا هو القاتون »

هنا صاح (مورو) رافعا فرائعه :

- « قفوا ! »

وهنا ساد صمت رهيب .. واضح أنهم يعرفون ويتوقعون ما سيحدث .

قال (مورو) بصوت حزم .

- « هناك من خرق القاتون . من هو ؟ »

ونظر حوله في حزم ، فتحاشوا نظراته .. وغغم أحدهم .

- « لا أحد يهرب .. لا أحد .. »

نظر (مورو) لعيني الرجل - الفهد ، وبدأ كلما ينتزع روح المخلوق ذلتها .

وقال ضاعطاً على كلمته :

- « من يخرق القاتون يخذ إلى بيت الآلام .. »

كان الرجل - الفهد على ركبتيه الآن ، وعيناه تلتمعان .. أنا وثق من أن جنون الخوف هو سبب ما حدث بعدها .. في اللحظة التالية وثب للرجل - الفهد

على (مورو) ، فتراجع هذا للوراء ليتفادى الهجمة ، وتعالى من ورائي صوت عواء وصراخ .. حسبت أنها ثورة عامة .. ورأيت عيني الخنزير .. الضبع تلتمعان في وحشية ، وعرفت أنه يوشك على مهاجمتي .. ثم نوى صوت طفلة من ممسك (مورو) .. وتفرق المحشدون ..

بعد لحظة كنت أركض وسط الزحام ، أبحث عن الرجل - الفهد الذي كان يتقدمنا جميعاً ، بينما السنة الوحوش تتدلى لهثاً .. الخنزير - الضبع يصرخ حملنا . والمرأة - الذئب تجرى في خطى واسعة .. (مورو) يلهث وشعره الأبيض يتطاير ..

استمرت المطاردة نحو ربع ميل ، وأخيراً وجدنا أنفسنا وسط الأشجار ، وراحت الأغصان تضرب وجوهنا ، والأشواك تجرحنا ..

ضحك الخنزير - الضبع وقد أخذته نشوة الصيد :

- « لا أحد يهرب .. لا أحد » .

ورأينا الوحش يركض على أربع فوق الصخور ،

ويعوى من فوق كتفيه .. له وجه آدمى لكنه يتصرف
كحيوان يتم صيده ..

تحول المطاردون من عمود إلى خط رفيع ..
والخنزير - الضبع يركض بجوارى ، وهو يكشر
ويرفع خطمه ، ولا يكف عن اختلاس النظر لى ..

ثم اكن أجروا على التخلي عن المطاردة ، حتى
لا يسبقنى (مورو) و (مونتجرى) وأجد نفسى
وحيداً مع هذه للصحة المروعة ..

فى النهاية ، استطعنا أن نحاصر الوحش المرهق ،
وقادنا (مورو) فى خط غير منتظم نحو الضحية ..
لقد سامحت البائس على كل ما سببه لى من
ذعر ..

أخيراً وجدناه مكوراً على نفسه .. وفى هذا
الوضع الحيوانى وقد تشوه وجهه ذعراً . شعرت
بحقيقة إنسانيته ، وهذا كلام يبدو متناقضاً ، لكننى
لا أجد تعبيراً أفضل ..

إنهم سيعيدونه إلى منزل الآلام ، حيث يلقي كل
الأهوال من جديد ، ولون تردد أخرجت مسنسى ..

صوبته ما بين عينيه وأطلقت الرصاص ، وفى اللحظة
ذاتها وثب الضبع - الخنزير منهوفاً عليه ، وغرس
أسنانياً جشعة فى عنقه ..

- « لا تقتله يا (بندرك) ! .. لا تقتله ! »

قالها (مورو) وهو يجرى ما بين الأشجار نحوى ،
وبسوطه أبعد الوحوش المتحمسة التى أحاطت بالجسد
للهامد ..

وهتف :

- « سحقاً لك يا (بندرك) ! »

- « لقد كان انفعالاً لحظياً .. حقاً لم أتعد قتله .. »

وشعرت بالغثيان من فرط الانفعال ، وابتعدت عن
المشهد الدامى . أسمع الرجال - الثيران يجرون
الجثة نحو البحر ..

كانت سماء المساء هى خلفية المشهد ..

هنا أدركت عبثية ما يحدث على هذه الجزيرة ..
يشكل ما أوقن أن الضبع - الخنزير متورط بشكل
معين فى افتراس الأرانب .. هنا صراع ما بين الغريزة

والعقل في أبسط صورته .. يا للوحوش المسكينة !
حقاً إن (مورو) قلص إلى حد لا يمكن تصوره ..
ولأية غلية ؟ »

لقد كانت غرائز هذه الوحوش - قبل التحول -
تناسب بينتهم تماماً ، وكانوا سعداء لكونهم أحياء ..
فجأة سقطوا في شرك الإنسانية وطاردتهم خوف
لا ينتهي من القانون الذي لا يستطيعون فهمه ..
لو كان لـ (مورو) هدف محترم لتعطف معه ولو
قليلاً .. بل كنت سأفهم لو كان هدفه الوحيد هو
الإيذاء .. لكن نظريته الغامضة جعلته يسلب هذه
الحيوانات حيوانيتها ، لتعيش عالماً كاملاً في عذاب ،
ثم تموت في الألم ..

إن الدراسة الحيوانية كانت تحركهم ، بينما
القانون يبعدهم عن عراق قصير ينهي مشاكلهم ..

لقد بدأ خوفاً من الرجال - الوحوش يتلاشى ليحل
مكاته خوفاً من (مورو) .. ووصلت بهذا الخوف
إلى درجة المرض ..

* * *

١٧ - الكارثة ..

مرت ستة أسابيع قبل أن أنسى كل شعور سوى
مقتى لهذه التجربة ..

كل ما أريته هو ترك هذه الجزيرة ، والعودة
لصحبة البشر للمريحة .. لم تزيد صداقتي مع
(مونجمرى) أكثر ، لأن معاشرته الطويلة للوحوش
جعلته مشوهاً بالنسبة لى ..

صرت أقضى على الشاطئ ساعات طويلة بانتظار
شراع يحررنى ، لم يظهر قط ..

وذات يوم حدثت كارثة مريعة غيرت كثيراً مما
لاحظته ..

أعتقد أنني صحت يوماً في السادسة ، وخرجت
لسبب التحصن أستمع بهواء الصباح .. مررت بى
(مورو) فحياتى ، وسمعه يفتح باب المصلى ..

زئير (البوما) يتعالى وهى تبدأ يوماً جديداً من
العذاب .. قابلته بصراخ طويل كأنها امرأة مشاكسة ..

فجأة حدث شيء لم أفهمه . صوت شيء يسقط ..
ثم رأيت وجهها مفرعاً لا يست بصلة للبشر
ولا الحيوان ، يندفع نحوي ..

مددت يدي لأتوقى الضربة التي كسرت ذراعي ،
وأسقطتني على الأرض .. كان الوحش العظيم ملفوفاً
في أربطة بيضاء ملطخة بالأحمر ، ووثب من فوقى
مبتعداً ..

حاولت أن أجلس ، لكنني لم أستطع الاستناد إلى
ذراعي المهشمة ، وظهر (مورو) والدم ينزف من
جبينه ، وفي يده مسدس ..

لم ينظر لي بل اندفع بحث عن (البوما) الهاربة .
لقد توارت بين الأشجار ، بينما (مورو) يركض
وراءها .. وأطلق رصاصة لم تصبها .

ظهر (مونتجمرى) ومسدسه في يده . صاح دون
أن يلاحظ إصابتى :

- « رياه ! هذا الوحش حراً . لقد مزق السلسلة
المربوطة إلى الجدار ! ماذا بك ؟ »
- « كنت جوار الباب حين .. »

دس سلاحه في جيبه ، وتحسس ذراعي ثم غمغم :
- « إنه مكسور .. »
وضمد ذراعي وعلقها إلى عنقي .. وأخبرني أنها
ستشفى ..

قال صاحب الوجه :

- « لا أرى ولا أسمع شيئاً عنه .. »

وتوقف لحظة ، ثم أردف وهو ينظر عبر النافذة :
- « سأحاول النحاق به . سأترك لك مسدساً
آخر .. »

ووضع السلاح على المنضدة أمامي ، وغادر
المكن تاركاً جواً من التوتر وراءه . لم أطق البقاء
حيث أنا ، فغادرت الحصن إلى الخارج ورحلت أرمي
الثيل البهيم والأشجار البعيدة ..

أذرع المكان كالديديان متسانلاً عما يحدث ..
ذراعي أقل ألماً لكنها أكثر سخونة .. ومن بعيد
سمعت طنقة رصاص . صرخة .. ثم الصمت ..

ركضت إلى الركن لأجد (مونتجمرى) قرمزي

الوجه ، مبهر الشعر ، وعلى وجهه علامات الهلع الشديد ، وخلفه كان تابعه (ملينج) وعلى شفّيه لطح داكنة غريبة ..

سألتني (مونتجمري) لاهثا :

- « هل عاد ؟ »

- « من ؟ (مورو) ؟ لا .. »

دخل إلى الحصن منهكا وغمغم :

- « رباه ! إنهم مجائين جميعا . كنهم جنوا .. »

ماذا حدث ؟

وزحف إلى الغرفة وجلس على مقعد ، على حين افترش (ملينج) الأرض وراح يحملق كالكلب في لاشيء ..

بعد دقائق حكي لي (مونتجمري) ما حدث لقد خرج في إثر الفارين ، وكان الكفاء الأكثر سهلا . فهو يرى بقع الدم التي خلفتها (ابوما) وبقايا أربطتها المتعلقة بالأغصان .. بعد دقائق لحق به (ملينج) حاملا فأسنا .. كان منهما في قطع الأغصان حين سمع الصراخ ، ولم يكن قد سمع شيئا عن موضوع الـ (بوما) ..

راح يقف الأثر مع مساعده .. وفجأة قلب الرجلين - الخنزيرين يرقصان وقد تلوثا بالدم . توقفا وراحا ينظران له بوجهين شرسين ففرق بسوطه ليعدهما .. إذا بهما يثبان عليه ..

كان هذا غريبا . فما من وحش تجاسر من قبل على هذا ، وأطلق الرصاص على رأس أحدهما ، أما الآخر فوثب عليه (ملينج) وأنشب أسنانه في عنقه .. وحين انتهت المعركة كاتا قد قضيا على الوحشين ، لكن (مونتجمري) وجد عمرا شديدا في انتزاع (ملينج) بعيدا

وفي طريقهم قبل رجلا - وشقا يعرج بسبب حرح في ساقه .. لم ينتظر (مونتجمري) ليفهم أكثر ، فقد كن الوحش ملوث الوجه بالدم ..

وأطلق الرصاص بلا رحمة على الحيوان .. سألته :

- « ما معنى كل هذا ؟ » .

هز رأسه ولم يقل شيئا .

★ ★ ★

١٨ - العثور على (مورو) ..

قلت لـ (مونتجمري) :

- « لابد أن شيئاً قد حدث لـ (مورو) .. شيئاً خطيراً وإلا لكان قد عاد قبل هذا ، وواجبنا أن نعرف أية كارثة حدثت .. »

بعد تفكير وافقني (مونتجمري) ، وتسلحنا نحن الثلاثة ، واتطلقنا .. لم يكن (ملينج) مسلحاً بالمعنى الدقيق للكلمة ، فقد سقط فأسه منه في أثناء صراعه مع الرجل - الخنزير ، لكن أسنانه كانت سلاحه في أي قتال ..

كان (مونتجمري) متعكر المزاج مكفهر الوجه .. بينما يدي اليسرى معلقة إلى عنقي والمسلس في يدي اليمنى ..

فجأة تصلب (ملينج) وراح يصفى ، وسمعت بدوري صوت خطوات تدنو منا .. ثم صوتاً عميقاً يقول :

- « هو ميت .. »

قال آخر :

- « هو ليس ميتاً .. »

رعدت أصوات أخرى :

- « قد رأينا .. قد رأينا .. »

صاح (مونتجمري) :

- « هالو .. هناك ! »

أمسكت بمسدسي وصحت به :

- « تباً لك ! »

ساد الصمت إلا من صوت تهشم الأغصان ، ثم أحاطت بنا نصف دسنة من الوجوه .. ومن حلقة زار (ملينج) .. استطعت سماع زئير الرجل - القرد ، ورأيت الناطق بالقانون والشعر الرمادي يحف بخديه وحاجبيه الكئيبين ..

عيناه الحمر لوان تنظران لنا بفضول وسط الخضرة .. ولعدة دقائق ساد الصمت حتى قال (مونتجمري) وهو يغالب الفواق :

- « من قال إنه ميت ؟ »

نظر الرجل - القرد شاعراً بالذنب إلى الناطق
بالقانون ، وقال :

- « هو ميت .. لقد رأوه .. »

لم يكن في هذا ما يثير الرعب . إن هذه الوحوش
مندهشة حقيرة مثلنا بالضبط .. وسألهم (مونجمرى) :

- « ولين هو ؟ »

- « وراينا ! »

وتسائل الرجل - القرد :

- « هل هناك قانون الآن ؟ هل هو مات فعلاً ؟ هل

هناك قانون أيها الآخر ذو السوط ؟ »

قال (مونجمرى) وهو يدير عينين غبيتين نحوى :

- « إنه ميت .. هذا واضح .. »

هنا بدأت أفهم مجرى الأمور ، لذا خطوت أمام

(مونجمرى) ورفعت صوتي :

- « يا أطفال للقانون ! إنه ليس ميتاً ! لقد غير

جسده .. أنتم لن تروه لفترة لكنه هناك يراقبكم ..

هلبوا للقانون وكونوا حذرين ! »

ونظرت لهم بحدة فتراجعوا .. قال الرجل - القرد
وهو يخفض عينيه ويتوارى خلف الأشجار :

- « هو عظيم .. هو جيد .. »

عدت لسألهم :

- « هل من شيء آخر ؟ »

- « الشيء الذي ينزف ويجرى صارخاً . هو

ميت .. »

هنا غصم (مونجمرى) :

- « عظيم ! »

وكان لا يفهم بعد سر إنكارى لموت (مورو) ..

سألت للرجال :

- أرونى أين جسده الذى تحلص منه .. لقد خالف

بعضكم القانون ولهذا سوف يموتون .. »

أشار لى الناطق بالقانون إلى اتجاه ما وقال :

- « من هذا الطريق أيها الآخر الذى يمشى على

البحر .. »

وشققنا طريقنا وسط الأغصان والنباتات الزاحفة .
وفجأة برز لنا وحش يقطر منه الدم يبغي الوثب
علينا .. أطلق (مونتجمري) الرصاص فأخطأ هدفه .
عندها استدار طالباً الفرار وازداد هياج الوحش ..

أطلقت رصاصة على وجهه الدميم . فرأيت
ملامحه تتلاشى في النهب لكنه واصل الاندفاع نحو
(مونتجمري) .. اعتلاد في هلع الموت ، وأسقطه
أرضاً وسقط فوقه ..

وكذا وجدت نفسي أرمق الوحش الميت ،
و (مونتجمري) المنهك على الأرض يحاول النهوض
بمشقة .

صحت بالنسائق بالقانون وأنا أشير إلى الوحش
الميت :

- « أترون ؟ مازال القانون حياً .. هذا ما أصابه
من جراء مخالفة القانون . (إنه يرسل النار التي
تقتل) .. »

وواصلنا المسير ..

في النهاية وجدنا الجسد المشوه الممزق للبوما ..
وعلى بعد عشرين ياردة كان جسد (مورو) راقداً
على وجهه وسط الخوص . وقد انتزع أحد ذراعيه من
مكانه وشعره الأبيض معجوناً بالدم .. وكان وجهه
ممزقاً بمخالب (البوما) ..

لكننا لم نجد مسدسه برغم البحث المدقق ..

وبمعاونة الرجال - الوحوش حملنا (مورو) إلى
الحصن . كان الليل قد أوغل ، ومن بعيد سمعنا
الوحوش من بعيد تزار وتهدر . لكنها لم تهاجمنا ..

★ ★ ★

وفي الحصن أرقنا جسد (مورو) على الخشب
في انقضاء ، ثم اتجهت و (مونتجمري) إلى المعمل
حيث وضعنا نهاية لحياة كل ما وجدناه حياً هناك ..

★ ★ ★

١٩- إجازة مصرف (مونتجمري) ..

حين تم هذا ، واغنسلتا وأكلتبا ، اتجهت
و (مونتجمري) إلى الغرفة كي تناقش وضع الحال .
كان (مونتجمري) واقفاً بشدة تحت تأثير شخصية
(مورو) ولم يكن يعتبره قابلاً للموت . وكانت
مشكلته الآن هي زوال الأمور التي صارت طبيعية في
الأعوام العشرة الماضية التي أمضاها على الجزيرة .
كان شاردًا يحيب عن أسئلتي في خرق ، ويقول :
« هذا العثم الأحقق .. لم تكن لي حياة قط ،
وإنني لامتاعل متى تبدأ ؟ » سنة عشر عامًا بحركتي
أسانذتي كما يريدون . في (لندن) كنت أكافح كي
أنشق طريقى في الطب . طعم سين مسكن قذر
ثياب متسخة . ثم جئت إلى هذه الجزيرة لأمضى
عشرة أعوام بلا جدوى . هل أنا مجرد فقاعة صابون
ينفخها طفل ؟ » .

قلت له دون أن أعنى على خواطره المضطربة :



في النهاية وحدهما احدهما المشوه المرقق للثوب وعلى بعد عشرين
باردة كان جسد (مورو) راقدًا على وجهه وسط الخوص

- « ما يجب التفكير فيه هو كيفية الخروج من هذه الجزيرة ؟ »

- « وما جدوى الخروج ؟ ولأين نذهب لنا المنبوذ ؟ »

- « ستكون هذه خطتنا غذا .

كنت قد أزمعت أن نحرق جسد (مورو) غذا ..
لكن ماذا عن الوحوش ؟

قال لي :

- « لا يمكننا قتلهم جميعا .. لكنهم سيرتدّون إلى طبيعتهم .. أعرف أنهم سيرتدّون إلى طبيعتهم . »

ثم صاح في مرح ، وهو يتجه إلى الباب مترنحا :

- « إننى مرغم على الانتحار غذا . أما اليوم فهى إجازة المصروف .. »

واستدار خارجا إلى ضوء القمر ، ورأيت ثلاثة مخلوقات تلحق به ، ورأيت (ملينج) يلحق به بدوره ، ليلتحم الكل فى بقعة سوداء واحدة .

اتجهوا إلى الغرب . ولم يكن (مونتجمرى) فى حالة طبيعية . كان يحمل زجاجة فى يده يقدمها للمخلوقات ، وصاح :

- « غنوا غنوا معى ! سحقال (بندرك) العجوز ! »

رأيت البقع السوداء تتحول لخمسة أشكال متباعدة .
وسمعتهم يرددون وراءه ما يقول ..

أغلقت الباب بإحكام . واتجهت إلى حيث كان (مورو) راقدًا جوار آخر ضحاياہ :

الكلاب واللاما ، ووجهه هادى تمامًا بعد الموت ..

جلست جواره ورحت أرتب خططى ..

فى الصباح ساضع بعض المؤن فى قارب نجاة وبعد ما أشعل النار فى المحرقة أعود إلى البحر ثانية .
لن أستطيع أن أقدم عونًا مالم (مونتجمرى) فهو ينتمى لعالم هذه الوحوش أكثر مما ينتمى لعالم البشر

لابد أننى امضيت ساعة أو أكثر فى التفكير ، حتى سمعت صراخا قادمًا من الخارج من عدة حناجر منتشية . صوت ضربات قوية وارتطام بالخشب ..

لكننى لم أهتم بها .. كنت أتفحص المؤن على ضوء مصباح الكيروسين ..

كان هناك (جركن) وقود كبير .. وعلب بسكوييت
عديدة ..

ثم إننى خرجت إلى (مورو) الذى صارت جروحه
الآن سوداء كالليل فى الظلام ، وأذكر أننى رأيت
وهجاً أحمر يلتصع من مكان ما ، لكننى ظننته خداعاً
بصرياً فلم أهتم به كثيراً ..

بدأ ضوء النهار يزحف ..

وفجأة سمعت صوتاً كالشجار ، وصرخة شرسية ، ثم
ضوضاء أثارت اهتمامى مما جعلنى أرهف السمع أكثر ..
وهنا - كسكين تقطع حيرتى - سمعت رصاصة مسدس ..

ركضت إلى الخارج ، وعند الشاطئ كانت هناك نار
تشتمل فى ضوء الفجر ، جوارها أشكال تصطرع ..

دنوت أكثر فرأيت (مونتجمرى) ساقطاً على
الأرض يصرخ ..

أطلقت رصاصة فى الهواء وسمعت صراخاً ،
ومن يقول :

« السيد ! »

وتحولت الكتلة السوداء إلى أجزاء منفصلة ، ثم فرت

الوحوش عبر الشاطئ .. استدرت للأكوام السوداء
على الأرض . (مونتجمرى) والوحش الرمادى للتعلق
بالتفتون . كان ميتاً لكنه ما زال ينشب مخالبه فى
عنق (مونتجمرى) .. وجوارهما (ملينج) راقداً على
ظهره وحلقه مفتوح ممزق .. كان ميتاً ..

تأملت (مونتجمرى) مسود الوجه لا يكاد يتنفس ،
فرششت على وجهه من ماء البحر ، وأرحته على
صدر مصطفى ..

لغنت جهلى بالطب . وتأملت المكان .. كان هناك
خشب محترق فى كل مكان ، وتساءلت عن المكان
الذى جاء منه (مونتجمرى) بالحطب ..

بدأت السماء للشرقية تصطبغ بلون أحمر ..

وهنا سمعت فحيحاً خلفى فاستدرت مسرعاً ..
رأيت دخاناً أسود يتصاعد من الحصن ، ثم نيراناً
حمراء تلاها اشتعال السقف . وخرج لسان من لهب
من نافذة حجرى ..

على الفور عرفت ما حدث . تنكرت أننى أوقعت
المصباح للكبروسينى على الأرض حين غادرت الحصن
مسرعاً ، وأثار ذعرى أننى لن أستطيع أخذ شيء
معى من الحصن .

نظرت إلى قاربي النجاة اللذين أزمعت الهرب
بأحدهما ، فإذا بهما قد اختفيا ! رأيت فأسين قرب
الرمال مختلطين بخشب محطم .. لقد أحرق
(مونجمرى) القاربين ؛ كي ينتقم لنفسه ، ويمنع كلينا
من العودة للبشرية !

اعترتني موجة غضب حتى أوشكت أن أحطم رأسه
الأحمق ..

فتح عينيه ببطء ووهن ونظر للفجر ، ثم همس :
« أنا أسف .. إنها نهاية عالمي السخيف ..
يالها من فوضى ! »

ثم لزداد ثقل جسده .. لقد مات ..

فقط هنا بردت النار في صدري ، وتركت رأسه
يستريح على الرمال ، ونظرت للحصن الذي يحترق
في صخب . الدخان الأسود يتصاعد الآن فوق
الأشجار وفوق أكواخ القوم ..

جاء ثلاثة رجال - وحوش لي .. كانوا ينظرون لي
بعيون غير وئود ، ويتقدمون في تردد إلى حيث جلست ..

★ ★ ★

٢٠ - وحدي مع الوحوش ..

في جيبي كان المسدس وقد نقصت طلقتان من
خزائنه ، ولي نراع عاجزة ..

نظرت للوحوش بحدة ، ثم تقدمت بضع خطوات
وتناولت السوط الواقع على الأرض وفرقت به :

« التحية ! اتحنوا ! »

ترددوا في الطاعة .. ثم ركع أحدهم ببطء .. وتلاه
الآخران ..

قلت وأنا أضع قدمي على صدر الناطق بالقانون :
« لقد خالفوا القانون لذا قتلتهم جميعا .. حتى
الناطق بالقانون . وحتى الآخر ذي السوط .. عظيم
هو القانون ! »

غمغم أحدهم وهو يتأمل الجثتين :

« لا أحد يهرب .. »

التقطت أحد الفأسين ولوحت به ، ثم اتحنيت على
جسد (مونجمرى) وأخذت مسدسه الذي بقيت فيه

طلعتان .. تحسست جسده فوجدت فى جيبه ست
طلقات .. بسستها فى جيبى بدورها ..
- « خذوه وارموا فى البحر ! »

كانوا مازالوا يخشون (مونتجمرى) ؛ لكنهم
يخشون السوط أكثر .. فى النهاية رفعوه واتجهوا إلى
الشاطئ . وسرعان ما غاب جسد (مونتجمرى) .
وشعرت بشيء يضيق حول صدرى ..

- « والان تخلصوا من باقى الأجساد . »

سمعت خطوات خلفى ، فرأيت الضبع - الخنزير
يدنو .. كان رأسه منحنيا وعيناه لامعتين ثابتتين على
وجهى ..

تناولت المسدس من جيبى لأننى نويت أن أقتل
هذا الوحش عند أية بادرة مريبة منه .. كنت لأخشاه
أكثر مما يخشائى .. إن استمراره فى الحياة تهديد
مستمر لحياتى .

صحت به :

.. « اتحن ! لأ التحية ! »

التمعت أسنانه .. وهتف :

- « من أنت كى .. ؟ »

هنا أطلقت الرصاص . صرخ وراح يركض مبتعدا ،
وعرفت أننى لم أصبه . أطلقت رصاصتين أخريين
لكنه كان يجرى متلويًا على الجانبين فلم أظفر به ،
وسرعان ما توارى وراء الدخان ..

صرفت الرجال الثلاثة واتجهت للشاطئ راغبًا فى
أن أبقى وحدى ..

إن الشيء المخيف هنا هو أنه مامن مكان آمن
على الجزيرة ، استريح لو أنتم فيه .. لقد استرددت
قواى ، لكنى مازلت واهنا والمعلقة تجعلنى أنهار
سريعًا .. فكيف سأبقى امنا إلى أن تجيء النجدة ؟ »

وتذكرت كلمات (مونتجمرى) اليناسة : « إنهم
سيرتدون إلى طبيعتهم . بالتأكيد سيرتدون .. »
وكلمات (مورو) : « ما إن تغفل عيناي عنهم حتى
يصحو الوحش داخلهم » . وفكرت فى الخنزير -
الضبع .. كنت أعرف أن حياتى رهينة بموته ..

لقد عرف هؤلاء القوم الآن أن أصحاب السياط
يموتون كما يموتون هم ..

ترى ماذا يخططون لى الان ؟ وماذا يقوله لهم
الخنزير - الضبع ؟

* * *

شعرت بأحد الرجال - الوحوش يدنو مني ، وكنت متوتراً لذا سحبت مسدسي مهدداً .. تراجع للوراء ككلب تم زجره ، وكان فيه الكثير من الكلاب حقاً ..

وعند الظهيرة توجهت إلى عرينهم وقد أرهقتي الجوع والظما .. نظروا لي وهم جنوس ولم يكلف أحدهم نفسه بالتهوؤ .. كنت متعباً عاجزاً عن الاعتراض وتركت الأمر يمر .. قلت لهم كأنني أعتر:

- « أريد طعاماً .. »

قال الرجل - الثور دون اهتمام :

- « هناك طعام في الأكواخ .. »

مررت وسطهم واتجهت إلى أحد الأكواخ المحفورة في الحمم .. كان به بعض الفواكه شبه الفاسدة التهمتتها في جشع ، ثم غطيت فتحة الكوخ بالفصوص وأدبرت وجهي لها وقبضت على المسدس ، عازماً على النوم ..

إن إرهاب الثلاثين ساعة للماضية يطالبني بحقوقه .. على الأقل سوف يحدث المتسلل بعض الضوضاء ، وهو يزيح الفصوص ، مما يعطيني من المفاجأة ..

★ ★ ★

٢١ - ارتداد الرجال - الوحوش ..

حين نهضت كان الظلام .. وكان ذراعي يؤلمني ، وسمعت أصواتهم الخشنة تتحدث بالخارج . كانت الأغصان على فتحة الكوخ قد انتزعت ، لكن المسدس ظل في يدي ، وفي هنع عرفت معنى هذا ..

سمعت من يتنفس في الظلام .. ثم شعرت بشيء ناعم دافئ رطب يمر فوق ذراعي ، فتقلصت يدي .. في همس خشن تساءلت :

- « من هذا ؟ »

- « هذا أنا يا سيدي .. »

- « ولماذا تريد ؟ »

- « يقولون إنه ما من سيد هناك ، لكنني أعرف .. »

أنا خادمك .. »

وعرفت أنه الرجل - الكلب ، وميزت الإخلاص في صوته . كان بوسعه أن يمزقني وأنا نائم .. سألته عن الآخرين فقال :

٢ - « إنيهم مجانسين .. إنيهم حمقى .. يقولون إن السيد مات والآخر الذى يملك السوط مات . والآخر الذى يمشى فى البحر هو مثلنا .. لاسيد .. لاسياط .. لابيت آلام .. نحن نحب القتاتون . لكن لاسيد ولاسياط .. كذا يقولون »

رَبَّتْ فى الظلام على رأسه . وقتت :

- « هذا حسن .. »

قال :

- « الآن تمزقهم جميعا .. »

- « نعم .. وبعد أيام كل واحد - عدا من تختاره

أنت - سيقتل »

- « من يرد السيد أن يقتله يقتله .. »

وغادر الكوخ وتبعته ..

مشينا فى الظلام متجاهلين الرجال - النوحوش المحيطين بنا ، والذين راحوا يرمقوننى فى عدوانية أو لامبالاة .. بعضهم احتشد حول النيران وعرفت منهم الرجل - الفرد ..

قال هذا الأخير :

- « السيد ميت .. منزل الآلام ذهب .. »

قلت فى ثقة :

- « السيد لم يموت .. منزل الآلام سيعود .. »

كانوا قد بدعوا يتوجسون من ثقى .. إن الحيوان يستطيع أن يكون خبيثا ، لكنك تحتاج إلى إنسان كي تختلق كذبة جيدة .. وقال أحدهم :

- « الآخر نوالنراع المضمند يقول كلاما غريبا .. »

- « أؤكد لكم .. سيعود السيد وبيت الآلام .. »

والويل لمن يخرق القتاتون ..

هنا راحوا يوجهون لى الأسئلة .. رحت أجيب بحماس شديد أرهقتى ، وخلال ساعة لقنعت أكثر هؤلاء بأننى صادق .. ازدادت ثقى بنفسى ولم أعد أتلفت للوراء فى كل لحظة ..

عدما ظهر القمر بدعوا يتشابهون وينسحبون للنوم .. قررت أن أبقى معهم .. لأننى سأكون أكثر أمنا معهم جميعا منى مع واحد فحسب منهم ..

* * *

فى النهاية بدأت أتكيف معهم . كانت هناك مشاجرات معهم بالطبع ما زلت أحمل حرووحها فى جسدى .. وأثار أسناتهم ..

لكننى - فى النهاية - ظفرت باحترامهم لبراءتى فى قذف الاحجار واستعمال الفأس . وكان صديقى الكلب ذاعون كبير لى ..

تحاشاتى الضبع - الذئب تماما . وكنت دائما متنبها له ، وعرفت أنه قد تذوق الدم منذ زمن . وعزل نفسه عن المجموعة وصار متواجدا فى عربى مجهول بالدغل . لكنه جعل كل ممر فى الغابة خطرا داهما بالنسبة لى ..

وفى شهر (مايو) بدأت ألاحظ تغيرا واضحا فى لغتهم . صاروا أقل اهتماما بالأنفاظ وأقل ميلا الى الكلام كانوا يفهمون ما يقال لهم لكنهم لا يتكلمون .. لك أن تتخيل لغتهم الواضحة المحددة تتحول لصيحات من جديد . وصاروا يمسكون الأشياء بطريقة خرقاء . وصاروا يجدون عسرا فى المشى منتصبين . حتى كنت أجد بعضهم يمشون على أربع فى أحيان كثيرة ..

كثروا يرتنون بصرعة ..

وبدأت قوة القاتون تفقد تأثيرها . وتحول الرجل - الكلب إلى كلب حقيقى يوما بعد يوم .. وكسا الشعر جسده كله .

صار الأكواخ قذرة جدا حتى إننى تركتها وصنعت لنفسى ما يشبه الكوخ من بقايا حصن (مورو) .. كان هذا هو أكثر مكان أمانا لأنهم لم يتسوا بيت الآلام بعد ..

من الصير أن أحكى كيف تخلوا عن ثيابهم تدريجيا ، وكيف نما شعرهم أكثر . وكيف صارت صداقتهم عسيرة ..

بالطبع لم يرتدوا وحوشا عادية كالتى يراها المسرء فى حدائق الحيوان .. بل كانوا خليطا من حيوانات عدة مع لمسة بشرية تثير الرعب من أن لآخر .. وهكذا رحت أمضى أيامى عند الشاطئ أدعو الله أن تمر سفينة ما . واعتدت إشعال النار فى مكان ظهر .. كنت أعنى أملى على عودة (إبيكاكوانا) من جديد . لكن شيئا لم يظهر ..

* * *

وفي أكتوبر قررت صنع طوفى الأول ، وكان
ذراعى قد شفى .. لم تكن لدى خبرة بالنجارة أو أى
عمل يدوى .. لكنى تمكنت فى النهاية من صنع
ما أردت ، وبرهنت على اتعدام مهارة تام ، لأننى حين
حاولت جز الطوف إلى الشاطئ تفكك إلى أجزاء ..

كان هذا حسن حظ .. لأنه حدث قبل أن أقع به -
لكنه أمضيت كثيرا وقتها ، وجعلنى أفكر فى الانتحار ..
لكن شيئا خطيرا حدث وقتها ، نبهنى إلى واجب
الإسراع بالفرار ، لأن كل يوم يدنينى من الهلاك مع
تلك المخلوقات ..

كنت جالسا عند الحصن ، حين شعرت بشيء .
يلمس كتفى .

أجفلت واستدرت فوجدت حيوان (الكسلان) يقف
خلفى ، وكان قد فقد القدرة نهائيا على الكلام ..

راح يركض نحو الأشجار ثم تعلق بفصونها -
وهذا وضع أسهل له من المشى - فبدأت أفهم .. إنه
يريد منى أن أتبعه ..

مشيت خلفه حتى وصلت لمساحة خالية من الأشجار ..

هنا رأيت مشهدا مفرعا ..

كان (المستير) راقدًا على الأرض ميتا ، بينما
الضبع - الذئب منحن فوقه يمزق لحمه بمخالبه
ويقضمه ، ويزل فى رضا ..

حين رأتى برزت أسنانه منذرا ..
لم يكن خائفا ولا خجلا .. لقد تلاشى آخر ما فيه
من لمسة بشرية ..

رفعت المسدس وصوبته نحوه .. لم يبد ميلا
للتراجع ، فصوبت ما بين عينيه وأطلقت الرصاص .
فى اللحظة التى وثب فيها نحوى . فسقطت تحته ..
لكنى أصبته كما أردت ..

أخيرا جررت جمدى من تحته ، ورحلت أرمق
جسده المضطرب وأنا أرتجف .. لقد ولى هذا الخطر ،
لكنه أول حلقة فى سلسلة الارتداد إلى الوحشية .

حرقت الجسدين فى محرقة خشبية . وأنا موقن أننى
ما لم أترك الجزيرة فورا فإن هلاكى مسألة وقت ..

فى الصباح كان الرجال - الوحوش يغفون ، لكن
الليل يضيح بعوائهم وزئيرهم . وتعلمت أن أنام نهارا
حتى أحتفظ بوعى فى الليل ..

لقد نسيت الحيوانات صنع النيران واستعادت
خوفها منها ، لذا كانت النار خير حليف لي ..
ورحت منهوفاً أحاول صنع طوفى الثاين مستفيداً
من أخطائى للسابقة ..

★ ★ ★

جاء يوم رأيت فيه شراع سفينة نحو الجنوب ..
أشعلت حطباً كثيراً ، ورحت أنتظر هذا الشراع
طيلة النهار ، دون أن أكل أو أشرب .. وأمضيت
ليلتى هناك ..

كان قارباً صغيراً .. رأيتـه عند الفجر وعليه
رجلان لا يتحركان من موضعهما .. لوحت لهما كثيراً
فلم يلاحظائى وظلا جالسين ..

هنا كفت عن الصراخ وأرحت ذقنى على كفى
وانتظرت ..

وعند الظهيرة أوقف المد القارب على بعد مائة
ياردة غربى الحصن ..

وحين دنوت منه أدركت أن الرجلين ميتان ..



رفعت المسدس وصوته نحوه .. لم يبد ميلاً للتراجع ، فصوت
ما بين هنيهة وأطلقت الرصاص ..

لقد ماتا منذ زمن طويل ، وتفتتت جثتاها بمجرد
أن جذبت القارب .. وكان لأحدهما شعر طويل أحمر
ذكرنى بقبطان لك (إبيكاكواتا) .. وعلى أرضيته
وجدت (كاسكيت) بيضاء متسخة ..

جاءت بعض حيوانات لترى ما هنالك ..

كان أحدهم هو مزيج مخيف من الدب والثور ،
وكان يحرك خطمه متشهما .. لمحت بريق أسنانتهم
وعيونهم فغلبنى ذعر رهيب ..

فى الصباح التالى ملأت الوعاء الذى وجدته على
ظهر القارب بالماء ، وقتلت أرنبين بآخر ثلاث
رصاصات عندى ، ثم ملائته بالفاكهة التى جمعتها فى
صبر ..

★ ★ ★

٢٢ - الرجل الوحيد ..

فى المساء اتجهت إلى البحر ببطء شديد ..
ركبت القارب ، وازدادت الجزيرة صغراً .. امتد
المحيط أمامى بلا نهاية .. وبعد ساعات كانت الشمس
الجليلة تغمر البحر ببريقها ..

وأضيت ثلاثة أيام وحدى أكل ، وأتأمل ما حدث
لى ، غير راغب فى رؤية البشر من جديد ..

لقد استحال شعرى عجينة سوداء ، وثيابى أسعلاً
بالية .. ولا عجب فى أن من رأونى حسبونى مخبولاً ..

وفى اليوم الثالث التقطتنى سفينة بخارية مسافرة
من (أبيا) إلى (سان فرانسيسكو) ، ولم يصدق
البحارة حرفاً مما حكيت ، لهذا آليت ألا أحكى عما
حدث لى منذ عرفت (ليدى فين) ..

كان على أن أنقذ نفسى من تهمة الجنون .. إن
ذكرياتى عن القاتون والبحارين الميتين والظلام
تطاردننى بلا هوادة ..

كنت دوماً غريباً بالنسبة للبشر كما كنت غريباً
بالنسبة للوحوش .. يقولون إن الرعب مرض ،
وبوسعى أن أقول إنه - بعد عشرة أعوام - ما زال
رعب لا يهدأ يسكن فى عقلى ..

لم أستطع أن أقتع نفسى قط أن من ألقاهم من
البشر ليسوا من القوم الوحوش ، ولربما يرتدون
لطبائعهم بعد قليل ليظهروا تلك العلامة الوحشية
أم تلك ..

تعرفت رجلاً صدقتى .. وهو طبيب أمراض عقلية
عرف (مورو) لفترة .. ومعه بدأت أشعر بتحسن ..
لكن الذعر لم يفارقنى برغم كل شيء ..

أخشى أن يرتد الناس إلى وحشيتهم على نطاق
أوسع ..

لقد عشت فى (لندن) غير قادر على معايشرة
الناس .. كنت أسمع صوت الرجال الوحوش خلف
النوافذ .. كانوا قادمين لى ، والأبواب الموصدة هى
أوهى حواجز ممكنة ..

وكنت أخرج للشارع كى أطرده أوهامى ، والناس
يرمقوننى .. العمال الشاحيون يسمعون حين أمر بهم ،

والشيوخ يثرثرون لأنفسهم وهم يمشون وحدهم ،
والأطفال يلهون ..

أدخل إلى مكتبة لأجد أن الوجوه المنكبة على
الكتب ، هى وجوه وحوش صور تنتظر مرور قريسة ..
الوجوه الخالية من التعبير للناس فى القطارات
والحافلات كانت تشير فزعى ، لذا كرهت السفر
إلا وحدى ..

إننى حيوان تم تغذيته - هو الآخر - فى بيت الآلام
حتى اختل عقله ..

وأضيت أياماً وسط الكتب التى هى نوافذ فى
حياتنا تنيرها أرواح الرجال .. كرست أيامى للقراءة
وتجارب الكيمياء والليالى الصافية كرسيتها لدراسة
علم الفلك ، حيث السلام والأمن فى قوانين الكون
الأبدية ، وليست الهموم اليومية وخطايا البشر ..

وبهذا فى أمل لا ينتهى ووحدة لا تزل ، تنتهى قصتى .

إدوارد برندك

هـ . ج . ويلز

١٨٩٦

[تمت بحمد الله]

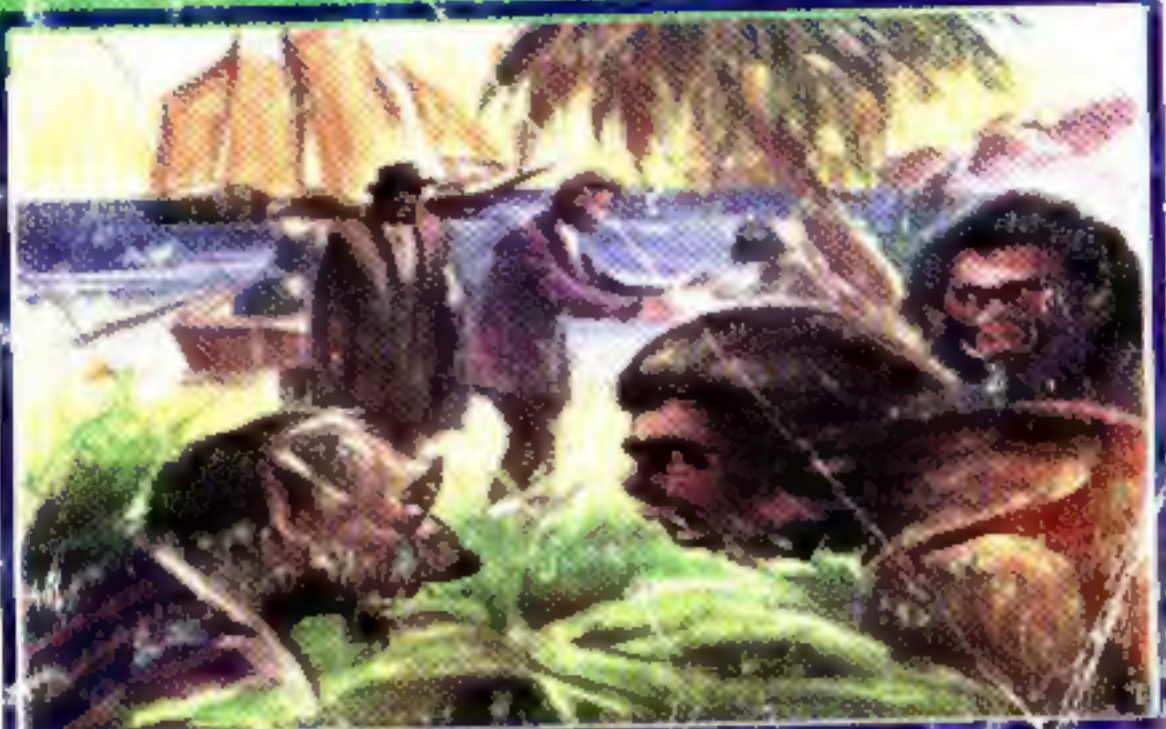
٢٥٥٧

رقم الإبداع :

٩٧٧ - ١٦٣ - ٢٩٤ - ٥

مكتبة متكاملة
لأنهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب



جزيرة الدكتور مورو

٤٤

31

سفينة غارقة ، ورجل يُدعى (بندرك) يفرّ بجلده
إلى جزيرة مجهولة ، بها عالم يُدعى الدكتور
(مورو) .. كل هذا جميل .. لكن خيوط الحقيقة
تتضح شيئاً فشيئاً ، وننتبين أن د. (مورو) يمارس
تجربة شنيعة تتحدى أي تعريف إنساني .. تجربة
لا يمكن أن تصدقها مالم تقرأ هذه الرواية ..

مطابع
تطالعات

العدد القادم
عربون الدودة البيضاء

الشعر في مصر ١٥٠
وسامته بالذكور الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم